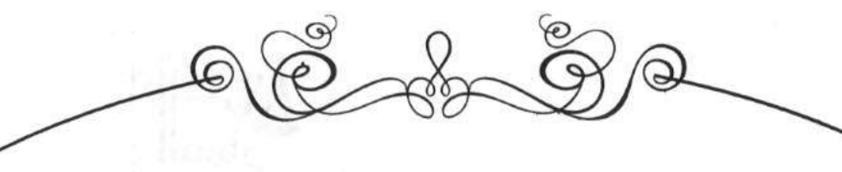


الشباب والدعوة

خواطر ونصائح للدعاة والشباب
ومثال يحتذى به في سيرة الإمام أبي حنيفة



الأستاذ الدكتور

محمد المختار محمد المهدي

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

الأستاذ بجامعة الأزهر

الرئيس العام للجمعيات الشرعيّة





طلعت حرب – القاهرة – جمهورية مصر العربية

٠١١٤١٥٧٥٩٦٩ – ٠١٠٠١٥٠٠٤٦١

Website: www.elfanar.com
E-mail: info@elfanar.com
moktarmm@hotmail.com

اسم الكتاب: الشباب والدعوة

اسم المؤلف: الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي

عدد الصفحات: ٩٦ صفحة

المقاس: ١٧ × ٢٤ سم

طبع بمطابع العبور الحديثة بالقاهرة ت: ٤٦٦٥١٠١٣ فاكس: ٤٦٦٥١٠٩٩

مقدمة

حمدًا لله وصلاة وسلاما على أفضل رسله وأفصح خلقه، وعلى من سار على دربه إلى يوم الدين.. أما بعد.

فقد تناولت وسائل الإعلام في الغرب والشرق، وفي قلب العالم الإسلامي مقولة مكررة عن تقصير الدعاة والعلماء في تقديم هذا الدين، وحمّلوهم مسئولية انحراف الشباب، مطالبين بأن يدع خطباء المساجد أسلوب التحذير والإنذار، وأن يكتفوا بالتبشير لإظهار سماحة الإسلام ويسره..

والحقيقة أن طبيعة البشر تحتاج إلى التحذير والإنذار، كما تحتاج إلى التبشير، وهذا هو أسلوب القرآن الكريم الصادر ممن يعلم دخائل النفوس، من منطلق أنه الخالق القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]، وقد أرسل سيد الدعاة، ووصفه بالنذير كما وصفه بالبشير، بل يكاد وصفه بالنذير يساوي وصفه بالبشير، قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[2]، كما قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[3]، ومن هنا ساق قصص من كذب بآياته، وما نالهم من خزي وعذاب في الدنيا مع ما ينتظرهم يوم الدين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[4].

وكثيرًا ما يتوعد المشركين بأن ينالهم ما نال الأمم السابقة، كما عقب على قوم لوط وما أصابهم من دمار، بقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[5].

ولا ينفي ذلك ما يتحمله الدعاة من مسئولية في الالتزام بالمنهج النبوي، والتوجيه القرآني؛ إذ لا يخفى تقصيرهم في اعتبار الدعوة إلى الله رسالة وليست

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٨.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٥) سورة هود، الآية: ٨٣.

وظيفة، وأنها أشرف مهنة، وأنها إذا أُديت بإخلاص ترفع صاحبها إلى مستوى يقول الله تعالى عمن وصل إليه: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1].

وقد تنوعت طرق الدعوة، فلم تقتصر على خطبة الجمعة العامة، فقد كان الإمام الأعظم أبو حنيفة مثالا لنوع آخر من الدعوة بتربية طلابه ومساعدتهم ماديًا وعلميًا، وبسلوكه العملي في ممارسة التجارة، فلم يكتف بعمقه في الفقه الذي وصفه الإمام الشافعي بأن كل الناس عيال على فقه أبي حنيفة، ولكنه لم ينس أن مهمة العلماء الأولى أن يدعوا إلى الله، ويبينوا للناس ما شرعه الله، وطبقه رسول الله في أي مجال من مجالات الحياة.

لهذا وذاك آثرت أن أتناول هذه الأفكار بشيء من التفصيل والبيان للدعاة اليوم، يقتبسون من سلوك الأوائل ما يعالج تقصيرهم، وما يغير من أسلوبهم، وما ينبههم إلى أن انهماكهم في تحصيل المادة يحرمهم من المكانة التي رفعهم الله إليها في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2]، وأن ما يحصلون عليه مهما كثر مآله الزوال، وأن ما عند الله خير وأبقى، ولعل شبابنا يدرك لذة الدعوة والعمل بمقتضاها..

رزقنا الله الإخلاص في القول والعمل... وهو نعم المولى ونعم النصير.

أ.د/ محمد المختار المهدي



(١) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.



المراد بالخطاب الإسلامي



الخطاب مصدر "خاطب"، وهو يقتضي وجود طرفين، أحدهما يتحدث، والآخر يستمع، كما يقتضي أن يكون كل من المتحدث والمستمع مدركاً لمدلولات ألفاظ هذا الخطاب، بحيث يحمّل المتكلم المعاني التي يريد إيصالها إلى المستمع على كلمات مفهومة لدى السامع، فينتقل المعنى عبر هذه الألفاظ.

ولأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده، ولا يستطيع أن يؤدي واجب الخلافة في الأرض إلا بوسيلة التفاهم علّم الله آدم الأسماء كلها قبل أن يترل إلى الأرض، وظهر استيعابه لما تعلمه وقدرته على توصيل ما استوعبه إلى الآخرين حين طلب منه رب العزة أن ينبئ الملائكة بأسماء هذه المسميات فنجح في ذلك، وكان أهلاً لتكريم الله له، فأسجد ملائكته وأدخله الجنة يأكل منها هو وزوجه ما يشاء رغداً، فكان العلم بوسيلة التخاطب ضرورة لحياة الإنسان على هذه البسيطة.

وكانت إرادة الله في اختيار رسله أن يكونوا على علم بلغة أقوامهم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾[1]، وكانت استعانة سيدنا موسى بأخيه هارون؛ لأنه أفصح منه لساناً، لبعد سيدنا موسى عن لغة مصر بعد أن تركها عشر سنين. فقال: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ ﴾[2]، وكان من دعاء موسى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي (٢٥) وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي (٢٦) وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٣) سورة طه، الآيات: ٢٥ - ٢٨.

وكانت فصاحة سيد الأولين والآخرين سلاحاً بتاراً في استمالة القلوب إلى دينه؛ إذ أوتي جوامع الكلم، ودانت له البلاغة الآسرة، وهو القائل: ((إن من البيان لسحرا))[1].

وكانت مهمته الأساسية أن يبين للناس ما نزل إليهم، فسمي بالبينة في قوله سبحانه: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ ﴾[2].

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينة بمعنى الحجة وبمعنى البيان معاً. هذا هو معنى الخطاب بما فيه من عناصر البيان والإقناع والبلاغ عموماً.

أما الخطاب الإسلامي: فحتى نلم بمفهومه الصحيح لابد أن نتعرض لمعنى الإسلام الذي ينتسب إليه الخطاب، فالإسلام في الحقيقة اللغوية: شامل لكل دعوات الرسل؛ إذ كانوا جميعاً يدعون إلى تعبيد النفس لتسير على طريق الطاعة بحب وتسليم وسهولة ويسر، ومن هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾[4].

وطلب الأنبياء جميعاً من أقوامهم أن يكونوا مسلمين، فهذا نوح عليه السلام يقول في سورة يونس: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[5]، وهذا إبراهيم يوصي أبناءه به: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[6].

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٤٣٤)، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحرا، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سورة البينة، الآية: ١ – ٢.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ٧٢.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٣١ – ١٣٢.

وقد نفذ يعقوب وصية جده حين جاءته الوفاة، قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وهذا يوسف بن يعقوب يدعو ربه قائلا: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2].

وهذا موسى يحث قومه على الإسلام فيقول: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[3].

ولما كان معنى العبودية والطاعة على أكمل وجه مأمولاً في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أطلق رب العزة عليها مصطلح "المسلمين"، فقال: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[4]، وكان الإسلام عنواناً لهذه الأمة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[5]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[6].

على أن الإسلام في حقيقته ومضمونه ليس فيه خلاف بين الرسل، فعناصر الإيمان فيه واحدة: ((الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره))[7]، لم يختلف أحد منهم في أي عنصر منها، بل إن الإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان موجوداً أيضاً لدى كل الرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٤.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٧) جزء من حديث جبريل، رواه مسلم في صحيحه، رقم (٨)، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1].

أما أركان الإسلام فهي أيضاً واحدة: فالصلاة يقول عنها سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾[2]، وعن سيدنا إسماعيل: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[3]، والصلاة والزكاة كانت في كلمات سيدنا عيسى، وهو في المهد حين قال: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[4]، والصيام كان مكتوباً على الأمم السابقة جميعاً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[5].

والحج هو فريضة الله على الناس منذ أن أمر إبراهيم بعد بنائه الكعبة أن يؤذن في الناس به، فقال سبحانه: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[6].

وكانت تعبيرات القرآن عن الحج في معظمها ملتزمة بلفظ الناس، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[7]، وقال: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[8]، وقال: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[9]. غير أن تفصيلات هذه العبادات كانت تختلف عند الأنبياء باعتبارها شريعة، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[10]، وعلى هذا الأساس نستنبط أن الخطاب الإسلامي الذي ندعو إليه هو ما طبقه الأنبياء والرسل جميعاً، وهو المنهج الذي وضحه الحوار الذي جرى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٥.

(٤) سورة مريم، الآية: ٣١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٦) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٩) سورة المائدة، الآية: ٩٧.

(١٠) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

بين سيدنا محمد وسيدنا جبريل عليهما السلام؛ إذ وضح أولاً عناصر الإيمان، ثم أركان الإسلام، ثم بيان الإحسان، وهو تدرج مقصود بدأ به نبينا صلى الله عليه وسلم عملياً، فمكث في مكة ثلاث عشرة سنة يؤكد ويثبت عناصر الإيمان، ثم توالت التشريعات في المدينة توضح العبادات والشعائر.

وقد وُفِق فضيلة الشيخ محمود خطاب السبكي حين حدد مراحل الدعوة بسبع، تبدأ بـــ"تثبيت عناصر الإيمان"، كما ورد في كتاب الله عز وجل، ثم "بيان فرائض الإسلام"، ثم "بيان المحرمات والمنهيات"، ثم "بيان البدع والخرافات التي التصقت بالإسلام وليست منه"، ثم "بسمت رسول الله وصحابته"، وبذلك تبنت دعوته التدرج في البيان، فالأهم يسبق المهم، والأساس قبل الفروع، فتجنبت بذلك ما وقع في بعض الحركات التي اهتمت بالفروع والتفصيلات والخلافات قبل أن تترسخ في نفس المدعوين الأسس والثوابت، وقد استلهم الشيخ هذا المنهج من الحديث الذي رواه الشيخان: قال رسول الله صلى الله عليه سلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن ((إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب))[1].



(١) رواه البخاري في صحيحه، رقم (١٤٢٥)، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.



الحكمة أهم عنصر من عناصر الدعوة الناجحة



مما يلفت نظر التالي لكتاب الله، وهو يحدد لنبيه صلى الله عليه وسلم سبل الدعوة ووسائلها، أنه قدم عنصر الحكمة، وبقليل من التأمل نرى أن أصل الكلمة مأخوذة من حكمة الدابة (اللجام)؛ إذ مهمتها أن ينضبط مسارها بيد راكبها الحاذق الذي إذا رأى أن الطريق مغلق قادها إلى طريق آخر مسلوك، وإن وجده غير آمن بحث عن غيره الآمن، فإن لم يجد توقف بعد أن يكون قد استنفد أقصى جهده.. وهذا المعنى اللغوي الحسي ينطبق تماماً على المراد من الحكمة وسيلة لإبلاغ الدعوة، ولذلك قيل في تعريفها:

هي: الكلمة المناسبة للشخص المناسب في الوقت المناسب، ولهذا يحتاج إلى فطنة وكياسة وإدراك لواقع المدعو حالاً وزماناً وبيئة وثقافة، وقد نبهنا القرآن الكريم إلى هذه الصفة في الداعية من خلال دعوة الأنبياء والرسل حيث تتوقف الوسائل لديهم بمراعاة هذه العناصر المودعة في الحكمة، وكانت الفطانة إحدى الصفات الملازمة لرسل الله الذين يختارهم ربنا على علم على العالمين.

وبالرغم من أن الهدف الأول لكل الرسل أن يدلوا العباد على عبادة الله الواحد.. نرى تنوع الطرق المؤدية لهذا الهدف، فسيدنا نوح عليه السلام يرى قومه متعطشين إلى زينة الحياة الدنيا من مال وبنين وزرع وأنهار فيبدأ معهم أن الإيمان هو طريق الحصول على هذا كله، من حيث إن المقتدر الوحيد على ذلك هو الله الذي يدعوهم إليه، ويحثهم على الإقرار بتقصيرهم في حقه فيقول: ﴿ **فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا** ﴾[1]، ثم يبرهن بآيات على أن تلك القدرة هي وحدها التي تحقق لهم هذا الهدف، فيقول: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ**

---

(١) سورة نوح، الآيتان: ١٠ - ١٢

ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[1].

ونرى بعده سيدنا هوداً، وقد بعث في قوم أقوياء يعتزون بقوتهم ويقولون: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[2]، فينبههم إلى أن هذا الدين الذي يدعو إليه لن يكون سبباً في ضعفهم ولن يسحب منهم تلك القوة التي يعتزون بها بل سيزيدهم قوة إلى قوتهم، فيقول: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[3].

وهذا سيدنا شعيب يرى في قومه سوءة التطفيف للمكيال والميزان، فيشخص الداء بعدم استشعار مراقبة الله فيرتب على دعوته لعبادة الله وحده، نهيهم عن هذا الخلق الذميم لمناقضته لقضية الإيمان، فيقول: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[4].

هكذا يستميلهم بتذكيرهم بنعم الله عليهم، فهو يراهم بخير وأنهم ليسوا في حاجة إلى النقص في المكيال وبخس الناس وظلمهم ويتحبب إليهم بأنه خائف عليهم من عذاب يوم القيامة، ويذكرهم بأن ما عند الله خير لهم في الدنيا والآخرة.

وهذا خاتم الرسل وزعيم الدعاة لا ينظر إلى ظروف قومه فقط! إذ ليس محدود الرسالة بزمن ولا شعب، إنه مرسل إلى العالمين، إلى يوم الدين، فلتكن دعوته إلى طبيعة الإنسان في كل العصور.. إنه يسعى إلى امتلاك المال والسلطة والولد والأعوان، وإلى التمتع بالشهوات والعلاقات الجنسية، وتلك غريزة نبه إليها الكتاب الحكيم، فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ

---

(١) سورة نوح، الآيات: ١٥ — ٢٠.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٥.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٠.

(٤) سورة هود، الآيات: ٨٤ - ٨٦.

﴿ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[1].

غير أنه قد يحصل على كل آماله تلك ولا يتمتع بها.. فقد يكون الاستغراق في الشهوات سبباً في الإصابة بالأمراض المستعصية. وقد يكون الأبناء مصدر القلق والحزن عندما يصيبهم مكروه، أو عندما ينحرفون فيهلكون ما جمع.. وقد يكون الغنى طريقاً للخيلاء والتكبر على المحاويج، فيدبرون له المكائد والمؤامرات..

وإذن فلا ينبغي أن نعلق آمالنا بالحصول على هذه المشتهيات، ولكن نبحث عن كيفية التمتع بها، والإنسان بقدراته العقلية لا يستطيع ضبط هذه النوازع فالله وحده هو الذي خلق وعلم كل التفاصيل في الحاضر والمستقبل، والطريق الوحيد إذن لمتعة الحياة دوام التوبة والعودة إلى كتاب الله يستوحي منها معالم الهدى إلى طريق المتعة والسعادة والقوة، فإذا أخطأ استغفر وأناب..

ومن هنا افتتحت سورة هود بالحديث عن هذا الكتاب الذي يدعو إليه خاتم الأنبياء بقوله: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[2].

الهدف إذن ليس الكثرة، ولكنها المتعة، وقد يتمتع المؤمن بالقليل بما لا يتمتع به الغني بالكثير.

هكذا تكون أهمية دراسة الواقع الذي يتعرض له الداعية من خلال الحكمة التي هي أول وسيلة من وسائل الدعوة.



---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) سورة هود، الآيات: ١ - ٣.



علاج القرآن لخوف الدعاة من كلمة الحق



على أن كثيراً من الدعاة يخشون بطش الجبارين وظلم المتسلطين الذين يتضررون من فاعليته الدعوية على مكاسبهم الدنيوية التي يحرصون عليها بظلم الضعفاء، وإذلال الشرفاء، ولكن القرآن الكريم يضع أمام الدعاة حقيقتين:

أولاً: قيامهم بواجبهم في الإصلاح يقي الأمة شر الهلاك المدمر، فوجودهم نعمة على أقوامهم والمصلحة العامة في عرف الإسلام مقدمة على الخاصة، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[1].

فبالرغم من ظلمهم واستحقاقهم للعقوبة، يؤجل الله الانتقام منهم بسبب وجود هؤلاء المصلحين.

ثانياً: على فرض أن أقوامهم لم يستجيبوا لدعوتهم واستمرأوا الظلم واستبدوا ونزلت بهم العقوبة الإلهية، فلن يصيب الداعين المخلصين الذين قاموا بواجبهم إعذاراً لله أيّ سوء، وسينجيهم الله من هذا الهلاك، فقد نجى الله كثيراً من الرسل، من كيد الجبارين وهلاك الظالمين، فقد نجى نوحاً، كما نجى شعيباً، فقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾[2]، ونجى لوطاً مع أهله من الخسف والدمار وجاءه الأمر الإلهي قبل نزول العذاب: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾[3].

ونجى صالحاً، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾[4].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٩٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٨١.

(٤) سورة هود، الآية: ٦٦.

ونجى هودا، فقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[1].

وجاء حديث القرآن عن بعض دعاة بني إسرائيل، وما أكرمهم به ربهم حين أعذروا إلى الله، في حوار رائع، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[2].

وكذلك مؤمن آل فرعون: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾[3].

وعلى فرض أن نال أهل الباطل من الدعاة فعذبوهم وظلموهم، فهم في رحمة الله وكنفه، وهذا هو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى نصرة لرسل أصحاب القرية؛ إذ رفرفت روحه الطاهرة، وهي تقول: ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾[4]، وكان عقاب الله لهؤلاء الظلمة عنيفاً حين قال: ﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾[5].

ولو خاف النبي صلى الله عليه وسلم من بطش قريش أو من قوة فارس والروم، ما قام برسالته، إن الداعية الحق يعتز ويفتخر باختيار الله له ليكون صوت الحق في دنيا الناس، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[6].

وصدق الله وهو يشيد بهم وبحظهم العظيم فيقول: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[7].

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤ - ١٦٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤٥.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٥) سورة يس، الآيتان: ٢٨ - ٢٩.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٧) سورة فصلت، الآية: ٣٦.



كيف ندعو إلى الثوابت



أهم الثوابت والأسس في عناصر الإيمان، هو الإيمان بالله خالقاً ورازقاً ومنعماً، ومهيمناً وغفوراً رحيما، وعزيزاً جباراً... وهذا العنصر على أهميته ووضوحه وإجماع المسلمين عليه تناوشته الفرق الكلامية والفلسفية، وسمحت للعقل البشري العاجز أن يتدخل في عالم الغيب بالرغم من أنه عاجز عن إدراك عالم الشهادة بكل أسراره وعجائبه...

فنشأت حوله فرق مزقت الأمة وجعلتها شيعاً وأحزاباً، وتحقق بها وعيد الله وتحذيره للأمة بعد أن عافاها من عذاب الاستئصال فوقع فيها ما بعده، حين قال: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾**(1).

وإذا كان المولى بكرمه وفضله قد أمّن الأمة من قهر عدوها لها من الخارج، فإنه لم يستجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنع عنها عذاب الفرقة والخلاف فبقيت في عصورها المختلفة تعاني من النفاق والمنافقين والمحرضين والمحرشين وعلماء الفتنة من كل عليم اللسان منافق الجنان...

وانطلت الخدعة على كثير من الدعاة وتحمسوا في التعصب المذهبي، وكأنهم يجاهدون في سبيل الله، وألحقوا التهم والتبديع على مخالفيهم، وإن اتفقوا معهم في الأسس والمصادر، واختلفت أفهامهم في النصوص فقط، وامتد هذا التيار إلى تفاصيل العبادات التي وسعت أئمتنا من أهل السنة والجماعة...

بل والتي وسعت قائد هذه الأمة حين نهى، وقال: ((لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة))(2)، فصلى بعض الصحابة في الطريق عندما حان وقت العصر،

---

(1) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

(2) رواه البخاري في صحيحه، رقم (٩٠٤)، كتاب أبواب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقالوا: لم يرد الرسول إلا الإسراع محتجين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[1]، وامتنع بعضهم الآخرتمسكاً بظاهر النص، و لم يعنف الرسول أحداً من الفريقين..

ورأينا في عصرنا هذا من يرفع الوسائل إلى درجة الغايات والمقاصد، فإذا كان من علماء الأمة المشهود لهم بالعلم والإخلاص من رأى أن الوسيلة إلى إحياء العقيدة وتفعيلها في عصره أن يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام في معرض الانفصام الذي حدث في عهده بين السلوك والعبادة المترتبة على الإيمان بالخالق.

وحين وجد بعض المتجرئين على إطلاق بعض الأسماء والصفات على رب العزة بما لم يرد به نص... فإننا نرى في هذه الأيام بعض الدعاة يرفع هذه الوسيلة إلى عقيدة (من لم يقل بها كان خارج الملة، مبتدعاً في دين الله).

كما وجدنا من تطاول على الإمام أبي حنيفة، وعلى الإمام الشافعي، ومن قال إنهم رجال ونحن رجال.. ورأينا من يستورد من فقه الشيعة حتى زواج المتعة، وضرورة الإشهاد على الطلاق، وهكذا... بين الإفراط والتفريط.



(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.



إشكاليات العصر



يحدث هذا في وقت يشتعل فيه العالم اليوم حقداً وعداءً للإسلام والمسلمين على صعيد الصراع الدولي من تحالف قوى الكفر والجبروت على شعوب العالم الإسلامي، وعلى الأقليات المسلمة في الغرب، وعلى مكانة خاتم الرسل وعلى كتاب الله الحكيم، بل على الذات العلية، وعلى الإخوة الإسلامية..

وهذه بعض الحقائق التي تحتل إشكاليات العصر الكبرى:

- **في فلسطين:** فتنة بين رفقاء السلاح، مصنوعة صنعاً متقناً من أعدائنا الذين يمثلون منهج الشيطان في التحريش بين المسلمين، ذلك الذي حذرنا منه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو يودع الدنيا (ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) [1]، وتصل المأساة إلى القمة حين يستعان بالعدو على الرفيق، وفي هذا الجو المشحون تستغل إسرائيل الفرصة لتدعو إلى دولة يهودية، يؤيدها في ذلك الظهير المتغطرس يقيمونها على الأرض العربية، يطردون أهلها، ويؤسسون عليها دولة دينية، ويعدون الفلسطينيين بدولة علمانية لا تمت إلى دينهم بصلة، وتكون منزوعة السلاح؛ لتظل تحت هيمنة إسرائيل، وليس لأحد أن يسأل عن حقوق الإنسان أو العدالة، فالإنسان عندهم ما دام مسلماً فلا حقوق له.
- **وفي العراق:** يتم نهب ثروته، وذبح شعبه، وإثارة النعرات العرقية والمذهبية ليكمل أبناؤه تدمير ما بقى منه، ولو كان الباقي نساءً وأطفالا..
- **وفي الصومال:** تحتل أثيوبيا أرضه بالتعاون مع قوى خارجية تستخدم عناصر صومالية أيضاً، انتقاماً من هؤلاء الذين حكموه ورفعوا شعار الشريعة، فحققوا الأمن والرخاء في أشهر معدودة.
- **وفي السودان:** ينفصل الجنوب ويشتعل الصراع في دارفور لتلحق بالجنوب، ويدبر مثل ذلك لكردفان حتى لا يكون لمصر ظهير ولا للإسلام وجود في إفريقيا.

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، رقم (١٦٥٢)، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

- وكذلك ما يحدث في كشمير، والشيشان، وأفغانستان.. أضف إلى كل ذلك ما يجري في آسيا وإفريقيا، بل وفي بلاد العرب من تنصير علني وتغريب للهوية والأخلاق والقيم والتعليم.. وتتدفق الأموال من الغرب على من يساعد في إشاعة الفاحشة والضرب في الجذور..

أشكال التغريب:

بدأ تغريب العالم الإسلامي منذ قدم الاحتلال إلى أرضه، فنحى التشريع الإسلامي عن الحكم واستبدل به قوانين الغرب، ودعا بعض المفكرين العرب إلى تقليد الغرب في كل شيء، ونادى بعض قادته إلى أن نكون قطعة من أوربا أو أمريكا.. ودخل التعليم الأجنبي إلى بلادنا ينفث سمومه ويشكك في تعاليم الإسلام وأخلاقه.. وجربت بعض الدول مناهج الرأسمالية والاشتراكية وفشلت كلها إذ زرعت في غير أرضها ووقف الإسلام حامياً للأمة من هذا الانهيار.

ومن هنا.. تنبه الغرب إلى استحالة فرض هيمنته على الأمة إلا بالقضاء على منظومة القيم التي يتربى عليها شبابها، فحاول التدخل في دراسة الدين، ونجح في تنحيته عن التعليم بحجة واهية، وهي أن في بعض البلاد أقلية مسيحية لا يصح فرض دين غير دينها في مناهج التعليم، وجاءت الطامة الكبرى في مؤتمر القاهرة للسكان (سنة ١٩٩٤م)، يدعو بصراحة وفي غير حياء أو خجل إلى نشر الشذوذ الجنسي، وفتح أبواب الدعارة والمطالبة بمنع تعدد الزوجات، وتقييد حق الرجل في الطلاق، وإزالة الوصمة عن مريض الإيدز مهما كانت أسباب إصابته به، والمعروف أن أكثر من ثمانين بالمائة (٨٠%) من المصابين به من الشواذ.. وتشجيع المراهقين والمراهقات على ممارسة الجنس الآمن قبل الزواج باستعمال الواقيات الذكرية والمهبلية، وضرورة موافقة الزوجة على اتصال زوجها بها، وإلا كان مغتصباً لها يستحق العقوبة!!

ورفع قوامة الزوج عن الزوجة، وإباحة سفرها بدون إذن زوجها، وتأخير سن الزواج للشاب والشابه، وإباحة الإجهاض للمراهقات، ومنع ختان الإناث، وإدخال الثقافة الجنسية في المدارس والجامعات..!

ولما وجد القائمون على هذا المؤتمر أنهم أسرفوا في مطالبهم، وتعجلهم في الإفصاح عنها ووجدوا مقاومة باسلة من علماء الإسلام في ذلك الوقت، بدأوا في تسريب هذه المصطلحات إلى عقول المسلمين بالتدرج، وبألفاظ محتملة وغامضة

على من لم يطلع على وثائق الأمم المتحدة، ولجأوا إلى اختراق القادة الدينيين بتمرير هذه المصطلحات، وعقدوا من أجل ذلك مؤتمرات كثيرة مقحمين الدين في عناوين هذه المؤتمرات، حتى صدر الدليل الإسلامي لمعالجة مرض الإيدز، وحتى تكونت شبكة شهامة، وهي اختصار لمسمى هذه الحركة، وهو: "شبكة الهيئات الإيمانية لمعالجة الإيدز"، تتلقى من الأمم المتحدة تعليماتها، وتشجعها للترويج لها، وتتكون منها شبكة أخطبوطية في كل الاتجاهات القانونية، والإعلامية، والاجتماعية.

ثم أقيم مؤتمر آخر في داخل جامعة الأزهر تحت عنوان: "قضايا سكانية من منظور إسلامي". ثم تكونت شبكة أخرى في هذا الشهر، تسمى شبكة "سلمى" بشرتنا بها جريدة الأهرام، تتبنى مصطلح القضاء على العنف ضد المرأة، ويدخل في ذلك كل ما نادى به مؤتمر القاهرة للسكان.

وهكذا مرت علينا شعارات تحرير المرأة، ثم حقوق المرأة، ثم القضاء على العنف ضد المرأة، ولقد كان كثير ممن لا صلة له بهذه المصطلحات يظن أن المراد منها تحريرها من ظلم بعض الرجال الجهلة بالإسلام حين يمنعونها من الميراث مثلاً، أو يكلفونها ما لا تطيق من الأعمال أو يهينون كرامتها بالسب واللعن والقذف والاحتقار، وضرورة مساواتها في الكرامة الإنسانية، وفي تقدير ما تقوم به من مسئوليات نحو الزوج والأبناء والمجتمع، وحصولها على حقها في النفقة والمعاشرة بالمعروف والبر بالوفاء والمودة، وكل هذا مما حث عليه الإسلام في إطار قيمه وأحكامه.

غير أن المفاجأة قد صدمت المصلحين والدعاة حين تكشفت النوايا، وظهرت تحت المسميات الآتية:

مبادرة البرنامج الإقليمي للإيدز في البلدان العربية التابعة للأمم المتحدة الإنمائي، وتحت رعاية الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، وبالاشتراك مع برنامج الأمم المتحدة للقضاء على الإيدز، والهيئة الدولية لصحة الأسرة، وكان ذلك في القاهرة في (١٣ من ديسمبر٢٠٠٤م)، وصدر عنه إعلان القاهرة للقادة الدينين في البلاد العربية لمواجهة وباء الإيدز.

تبعه مؤتمر القائدات الدينيات في البلاد العربية لمواجهة وباء الإيدز، المنعقد في طرابلس بليبيا في (٢٠٠٦/٥/٢٨)، بمبادرة من البرنامج الإقليمي للإيدز في الدول العربية التابع لبرنامج الأمم المتحدة.

وفي ٢٠٠٧/١١/٢٩، عقد البرنامج الإقليمي للإيدز في الدول العربية ورشة عمل تحت عنوان: "نحو إعلام ديني يحمي حقوق المتعايشين مع فيروس الإيدز".

وفي يوم ٢٠٠٧/١٢/٣، عقدت ندوة في جامعة الأزهر عن "الصحة الإنجابية"، مع مركز الدعم الإقليمي الإفريقي بنيجريا.

وقد تناولت هذه الاجتماعات خطر مرض الإيدز، وإسهام الأمم المتحدة في علاجه، على حين أن وزير الصحة المصري صرح بأن عدد المصابين به لا يبلغ ألف شخص، من أكثر من سبعين مليوناً، وأن مصر مثلاً محتاجة لمن يساعدها في القضاء على الأورام والفشل الكلوي، والفيروسات الكبدية، والعنوسة والبطالة، ومع ذلك لا يمثل هذا بالنسبة للأمم المتحدة دافعاً للتعاون، أما الإيدز فالمراد الحقيقي من تهويل خطره وإرادة نشره عن طريق الشذوذ الجنسي والدعارة، والانفلات الخلقي، ولهذا قامت الجمعية الشرعية –بتكليف من المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة– بإعداد رؤية إسلامية لمعالجة هذا المرض، وبيان الأسس الإسلامية التي تكفل الصحة والفضيلة والعفة، وصدرت الرؤية، وقرر مجمع البحوث الإسلامية أنها تستحق أن توزن بالذهب، ويجب نشرها على نطاق واسع وتوزيعها بالمجان حفاظاً على صحة الأمة، وصوناً لشبابها، وبياناً لعظمة الإسلام وحضارته الراقية الواقية، من كل ما يهدد الفرد والجماعة.

هذا هو الواقع الذي يمثل إشكالية ضخمة أمام الخطاب الإسلامي الذي أهمل هذا الجانب إهمالاً ذريعاً، حتى أعلنت بعض الدول الاستجابة لإدخال الصحة الجنسية في مدارسها الإعدادية والثانوية، وحتى ناقشت بعض فضائياتها مسألة منع تعدد الزوجات، والاغتصاب الزوجي.

أما الإشكاليات الأخرى في داخل الأمة، مما تحدثت عنها الأوراق المقدمة للمؤتمر مثل التعصب المذهبي، وتصعيد الفروع إلى مكان الأصول، والإسراف في الإنذار أو التبشير. فكل ذلك يمكن القضاء عليه بسهولة حين يتفق علماء الأمة ومفكروها على وحدة الفكر الدعوي، وتقديم الأهم على المهم وترك التشاحن، وعدم تطويع الدين للواقع الفاسد طمعاً أو خوفاً.





البداية في الوصول إلى المأمول



بالتأمل في الدعوة التي توجه بها إبراهيم الخليل لربه، وهو يبني البيت الحرام، حين قال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1].

وقد من الله على المؤمنين ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بهذا المنهج حين قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وفي تصريح القرآن الكريم بمهمة النبي محمد التي كلفه الله بها، وبعثه من أجلها في قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

وتعقيبه على ذلك، بأن هذا المنهج ليس خاصاً بعصر النبي ﷺ، إنما هو عام لكل العصور اللاحقة، حيث قال: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4].

وتزكية الله لمن سار على هذا المنهج بأنه قد أوتي فضلاً عظيماً في قوله ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[5].

وفي تعبير آخر بأنه فضل كبير لمن ورث الكتاب، فكان من السابقين بالخيرات، حيث يقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٣.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

ويعده سبحانه وتعالى بما يأتي: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴾[1].

نلحظ من ذلك كله: أن أول وسائل الدعوة، تلاوة كتاب الله كما أنزل الله، فهذا دأب الرسل أيضاً من قبل خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ يحكي القرآن عن خزنة جهنم وهم يوبخون الذين كفروا، فيقولون: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2].

وجاء الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ ﴾[3]. وقوله: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ﴾[6].

التلاوة إذن مع التدبر في معانيها، والعمل بها، وإبلاغها هي الأدوات الناجحة في الدعوة إلى الله على بصيرة، فهذا هو ما صرح به القرآن نفسه، ليتحقق إخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[7].

ذلك أن هذا الكتاب صادر ممن يعلم خلجات النفوس ومواقع التأثير فيها؛ إذ تعاونت كلماته الهادية مع الفطرة النقية التي فطر الله الناس عليها، فكانت نوراً على نور، استضاءت بها الأفئدة التي لم تطبق عليها ظلمات الكفر، وازدادت بها النفوس

---

(١) سورة فاطر، الآيات: ٣٣ - ٣٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧١.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٥) سورة النمل، الآيتان: ٩٠ - ٩١.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٧) سورة إبراهيم، الآية: ١.

الخبيثة حقداً وضغينة وكفراً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[1].

لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم كتاب في العقيدة، وكتاب في الفقه، وكتاب في الأخلاق، ولم يكن لدى سيدنا مصعب بن عمير حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة داعياً سوى كتاب الله، وما وعاه من هدي رسول الله، ولم يكن لدى سيدنا معاذ بن جبل حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن داعياً وقاضياً سوى كتاب الله وما حفظ من سنة رسول الله..

وهكذا كان الصحابة بيقينهم الذي لا يتزعزع، وإخلاصهم الذي لا يتطرق إليه رياء ولا غرض من أغراض الدنيا، ومعهم كتاب الله يفتحون به مغاليق القلوب، يتلونه حق تلاوته، ويدركون معانيه السامية، ويتخلقون بأخلاقه، وينفذون أوامره ويدعون الناس بأقوالهم وأفعالهم، يختارون من كتاب الله ما يناسب كل إنسان وبيئته، فعباد الصنم غير أهل الكتاب، والمؤمنون يخاطبون بغير ما يخاطب به الكفرة والمنافقون..

وهكذا رأينا جعفر بن أبي طالب يتلو على النجاشي وقساوسته قصة البتول القانتة مريم ابنة عمران، كما جاءت في القرآن، يمسح بهذه الآيات النورانية ما علق بأذهانهم من وشاية عمرو بن العاص رئيس وفد قريش حينذاك، وكل ذلك نابع من الحكمة في الدعوة، وقد كانت تلاوته وحدها -ولو من غير فهم محتواها -مأجورة ومثابة، فالحرف الواحد منها بعشر حسنات، كما أخبر المعصوم في قوله: ((لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف))[2]، مع أن هذه الحروف المقطعة ما زالت محل بحث حتى يومنا هذا.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) الحديث رواه الترمذي في سننه ١٧٥/٥، رقم (٢٩١٠)، كتاب فضائل القرآن، باب فيمن قرأ حرفاً من القرآن فيما له من الأجر، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

وما زال القرآن الكريم بلغته العربية يؤثر تأثيراً بليغاً في نفوس غير العرب إذا تلى عليهم من قلب خاشع، وأداء صحيح، حتى لو لم يفهموا معناه، وكان الإقبال على حفظه وترتيله من إخواننا في الفلبين وأندونيسيا وماليزيا وغيرهم، مع أنهم لا يتكلمون العربية، ولا يفهمون كثيراً من ألفاظها وأساليبها، وسبحان من جعل لهذا القرآن مترلة تسنّم بها سلم النعم قبل خلق الإنسان نفسه، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾(1)؛ إذ هو الغذاء الوحيد الآن للروح بما اشتمل عليه من هدايات الوحي التي جاءت في كل الكتب السابقة، وبدون هذا الغذاء تطغى رغبات الجسد وشهواته وغرائزه حتى تورد صاحبها موارد الهلاك في العاجل والآجل.

كان هذا هو منهج السلف الصالح الذين ندعو الله في كل ركعة أن يهدينا إلى طريقهم وصراطهم المستقيم، ولأن الإسلام دين عالمي لا يعرف الفوارق الجنسية واللغوية والعرقية، دخل في دين الله أقوام كانت لهم فلسفات وثقافات عقلية يحكمون بها عقولهم في الغيبيات، وبخاصة فيما يتعلق بذات الله وصفاته، فشغلوا أنفسهم بالمتشابهات التي أمرنا أن نقول عنها ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾(2)، ولم يجد العلماء بداً من أن يدرسوا أفكارهم وفلسفتهم ويردوا عليهم من خلالها قياماً بما تقتضيه الحكمة في الدعوة، فلفتوا أنظارهم إلى خصائص اللغة التي نزل بها القرآن في استخدامها الحقيقة والمجاز مع حرصهم على تتريه الحق سبحانه عن مشابهة الحوادث مستظلين بقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾(3).

ونشأت من هذا الجدال فرق ومذاهب تجاوزت كثير منها حدود الاعتدال، فأولوا النصوص بما لا تساعدهم عليه عناصر الإيمان وأساليب القرآن.. وشط بعضهم فشبّه أو عطل أو أرجأ أو خرج أو تشيع، فأصيبت الأمة بالتفرق والخلاف.. ووجد اليهود فرصتهم في هذا الجو العكر فقاموا بالتحريش بين تلك الطوائف حتى قامت الحروب الداخلية في الأمة، وما زالت آثارها فيه حتى الآن.

---

(١) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.



قبل العودة إلى منهج القرون المفضلة



من هنا كانت هذه الدعوة للعودة إلى ما كان عليه نبينا وصحابته في اتخاذ أساليب القرآن منهجاً لتثبيت الإيمان، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، يقتضي ذلك الآن التركيز على النقاط الآتية من قِبل الدعاة:

١- ترك المراء والجدل، وبخاصة في الغيبيات، والنصوص في ذلك كثيرة، منها قوله ﷺ: ((ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)) [(١)].

وأقوال الأئمة في ذلك أكثر، فالإمام مالك يقول: "المراء يقسّي القلب ويورث الضغين".

ويقول الإمام مالك أيضاً: "لا أحب الكلام إلا ما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله، فالسكوت أحب إليّ".

والإمام أحمد يقول: "لا يكون الرجل من أهل السنة حتى يدع الجدال وإن أراد به السنة".

وهو يستوحي في ذلك ما ورد من فضيلة ترك المراء وإن كان محقاً.

٢- إبعاد العوام عن علم الكلام: وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي – في كتاب "الاعتصام" –: "ومن تلك (البدع) التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل معناه، فإنه من باب وضع الحكمة في غير موضعها، فسماعها إما أن يفهمها على غير وجهها، وهو الغالب، وإما لا يفهم منها شيئاً، وهو أسلم، ولكن المتحدث لم يعط الحكمة حقها في الصون، بل صار في التحدث بها كالعابث بنعمة الله" [(٢)].

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٢٧٨/٥، رقم (٣٢٥٣)، كتاب التفسير، سورة الزخرف، وابن ماجه في سننه ١٩/١،، رقم (٤٨)، كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اجتناب البدع والجدل، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(٢) كتاب الاعتصام، للإمام الشاطبي ٣٩٧/١.

وقد ألف في ذلك الإمام الغزالي كتابه "إلجام العوام عن علم الكلام".

وعن ابن مسعود قال: "ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا يبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"[1].

٣- احترام الأئمة وتقدير جهدهم الرائع في الفقه والاستنباط، وعدم التطاول على مقامهم العالي، وعدم التعصب لمذهب معين والازدراء بما عداه، وقد ضرب لنا الأئمة أنفسهم المثل في ذلك. يقول الإمام الشافعي عن أبي حنيفة: "الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه".

ويقول الشافعي عن مالك: "إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب".

ويقول الشافعي عن الإمام أحمد: "خرجت من بغداد وما خلفت بها أورع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل".

ويقول: "كل ما في كتبي (حدثني الثقة) فهو أحمد بن حنبل".

ويقول الإمام أحمد عن الشافعي: "ما مس أحد بيده محبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منَّة".

ويقول: "ما صليت صلاة منذ أربعين سنة، إلا وأنا أدعو للشافعي، فقال له ابنه عبد الله: أيّ رجل كان الشافعي حتى تدعو له هذا الدعاء؟ فقال الإمام أحمد: يا بني كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر: هل لهذين من خلف؟!".

٤- العناية بالأثر الإيجابي لما استقر في القلب من إيمان حتى لا يكون كلاماً تردده الشفاه، فقد تحدث القرآن الكريم بطريق الحصر عن المؤمنين، بأنه من تظهر في سلوكه آثار هذا الإيمان، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه معلقا، ١/١٠، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [1].

ففي هذه الآية بيان لما يشعر به القلب حين تلاوة القرآن، وما تقوم به الجوارح من النصرة والإنفاق.

وفي آية أخرى يشير إلى أثر الإيمان في بذل الجهد في الدفاع عن الإسلام، فيقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [2].

وفي بيان التجارة الرابحة يقرن بين الإيمان والجهاد، فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3].

ويؤكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الربط بين الإيمان وأثره في السلوك، فيقول صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)) [4].

ويقول صلى الله عليه وسلم: ((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان)) [5].



(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٢ - ٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٣) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ١٢/١، رقم (٩)، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم في صحيحه ٦٣/١، رقم (٣٥)، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي في سننه ٢٧٧/٥، رقم (٣٠٩٣)، كتاب تفسير القرآن، سورة التوبة، وأحمد في مسنده ٧٦/٢، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

وسائل الإيمان بالله في القرآن



تعامل القرآن مع فطرة الإنسان التي تقوم على مبدأ المعاوضة والتجارة فهو لا يبذل إلا إذا وثق في جزاء هذا البذل من قادر على هذا الجزاء، فحين يطلب منه أن يعبّد نفسه الجامحة على الطاعة والخضوع والاستسلام لابد أن يشعر أن لذلك مقابلاً مضموناً، وحتى يثق في ذلك يحتاج إلى أدلة ملموسة يدركها عقله، ويطمئن بها قلبه، فتندفع طاقاته للوصول إلى هذا الجزاء.

وبقليل من تدبر آيات الله في القرآن الكريم نجده اعتمد لذلك أربعة محاور، قد يتداخل بعضها وقد يستقل، وقد استغرق الحديث عن هذه المحاور أكثر من ثلاثة أرباع القرآن؛ إذ استخدم فيها من الأمثال والقصص والمشاهد ما يعمق الإيمان، ويحفز الهمم والعزائم للعمل بمقتضى هذا الإيمان، وهذه المحاور هي:

١- لفت أنظار الخلق إلى آيات الله في الكون المنظور بما يدل على القدرة المطلقة التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء، وفي سبيل ذلك طلب من الإنسان أن يكثر النظر فيما حوله ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[١].

وحتى لا ينسب لنفسه فضلاً في إيجاد هذا الطعام يتحداه، ويقول: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[٢].

بل وهو أيضاً المهيمن عليه بعد نضجه وتشوف الزراع للحصاد ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة عبس، الآيات: ٢٤ - ٣٢.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٦٣ - ٦٤.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٦٥ - ٦٧.

وكذلك الماء الذي لا حياة بدونه ولا زرع ولا طعام ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[1].

وكل ما حول الإنسان يدعوه إلى الإيمان ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[2]، ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[3].

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[4].

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[5].

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[6].

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[7].

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾[8].

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٦٨ – ٧٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٣) سورة يس، الآيتان: ٣٣ – ٣٥.

(٤) سورة يس، الآيات: ٣٧ – ٤٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٦) سورة الغاشية، الآيات: ١٧ – ٢٠.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٨) سورة غافر، الآية: ٨١.

٢- التذكير بنعم الله عز وجل على الإنسان، وقد تمتزج الآيات مع النعم من حيث أن كل ما خلق في هذا الكون مسخر للإنسان ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[(1)]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(2)].

ومن تعداد النعم التي لا تحصى، قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(3)].

وقوله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾[(4)].

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ ﴾[(5)].

وقوله: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[(6)].

وسورة "الرحمن" تمتزج فيها الآيات مع النعم، ويعقب على كل آية ونعمة بقوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[(7)].

ويظل القرآن يذكر حتى يصل إلى قوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾[(8)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٥.
(٤) سورة النبأ، الآيات: ٦ - ١٦.
(٥) سورة يونس، الآية: ٢٢.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٦٣.
(٧) سورة الرحمن، الآية: ١٣.
(٨) سورة النحل، الآية: ٥٣.

وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾[1].

٣- التحذير من الانحراف عن منهج الله بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له من عذاب في الآخرة، قال سبحانه: ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾[2]. وقال: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾[3].

ستسلب منه النعمة كما سلبت من آدم في الجنة بالمعصية، وكما سلبت من أصحاب الجنة الذين بخلوا بأموالهم عن المساكين ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾[4].

وصاحب الجنتين ﴿۞وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ﴾[5].

فهذا الرجل لما كفر بنعمة الله وأنكر الحساب، وذكَّره صاحبه بزوال تلك النعمة بسبب كفره، ولم يستجب كانت النتيجة ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾[6].

وفي قصة سبأ عبرة ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾[7].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٧.

(٣) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٤) سورة القلم، الآيات: ١٧ - ٢٠.

(٥) سورة الكهف، الآيتان: ٣٢ - ٣٤.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٢.

(٧) سورة سبأ، الآيتان: ١٥ - ١٧.

وقارون لما نسب الغنى لمهارته كانت النتيجة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[1].

وقوم هود، وقوم صالح، وفرعون وجنوده، ومن قبلهم قوم نوح..إلخ.

ويعلنها القرآن صريحة ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

وضمن ذلك في مثال ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[4].

بالإضافة إلى كل ذلك ما أعد لهم من عذاب الجحيم وتصويره في القرآن مروع ورهيب.

٤- البشرى لمن سار على صراط الله المستقيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾[6]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[8].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ١١٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧١.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٦) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ - ٣.

(٧) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٨) سورة يونس، الآيات: ٦٢ - ٦٤.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾[1].

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[2]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[6]، وقوله: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾[7].

وكل ذلك في الدنيا، وأما في الآخرة: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[8].



---

(١) سورة محمد، الآية: ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٥) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٦) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٨) سورة السجدة، الآية: ١٧.



كيف ندعو غير المسلمين



ما سبق من منهج القرآن الكريم في تناول الإيمان بالله ووسائله، يصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه ولونه ولغته، وسواء كان أمياً أم كان نصف متعلم، أم كان أكبر عالم في التقنية؛ إذ يعتمد على الحس المشاهد الذي لا ينكره عاقل.

وقد كلف الله المسلمين – وبخاصة العرب– بالقيام بمهمة الدعوة، والبلاغ المبين، فتلك مهمة الرسول الخاتم، وقد حملنا إياها وخاطب العرب في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[1]، من منطلق أن الوحي قد نزل بلغتهم، وهم أقدر على فهم مراد الله، ونبه من أول وهلة أن هذا الدين ذكر ورحمة للعالمين، وكثيراً ما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بأن ما عليه (إلا البلاغ المبين)، وتكررت كلمة (المبين) في ذلك بما يوحي أن على الأمة وعلمائها أن يتخذوا كل الوسائل العلمية والمتطورة في بيان محاسن الإسلام، ونظامه الرباني بالحكمة التي سبق الحديث عنها..

فإن قصروا في الإبانة وسمحوا لمن يشوه الإسلام في الإعلام الصهيوني، فليس لنا أن نحكم على المضل والمضلّل بالكفر والجحود..

فالحكم بالكفر تابع للجحد بعد وضوح الحق، ذلك أن كفر العقيدة نوعان:

- **كفر لم يسبقه إيمان،** فهؤلاء لهم البلاغ المبين، فإن أبوا طالبناهم بعدم التعرض للدعوة، فإن أبوا قوتلوا..

- **وكفر سبقه إيمان،** فهو الردة، يستتاب صاحبها، فإن تاب وإلا قتل كفراً؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من بدل دينه فاقتلوه))[2].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، رقم (٢٨٥٤)، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وبمجرد شهادة الحق يدخل المرء في الإسلام، ويعامل معاملة المسلمين، وليس لنا أن ننقب عما في قلوبهم، فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم)) [1].

والمسلمون مأمورون بكف القتال بمجرد سماعهم الأذان ممن يقاتلونهم، وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية يقول لها: ((إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم منادياً فلا تقتلوا أحدا)) [2].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المنافقين، ولم يطردهم من مجلسه.

ومما ينبغي التنبيه له: أن لفظ الكفر في القرآن والسنة تنوعت دلالته، فمنه كفر النعمة، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [3]. وقوله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [4].

وهناك كفر العمل، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [5]، ومنه كفران المرأة للعشير وللإحسان، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)) [6]، وقوله: ((ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)) [7].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، رقم (٤٠٩٤)، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٤٨/٢، عن رجل من مزينة يقال له بن عصام عن أبيه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٤) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩٤.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، رقم (٥٦٧٩)، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، ومسلم (٦٤)، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٧) رواه البخاري (١٦٥٢)، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن هنا نرى أن غير المسلمين فيهم الجاحد المعاند المنتفع ببقاء الظلم، فهو لا يريد أن ينتشر العدل بين الناس بنور الإسلام، فيتخذ طريق الهجوم والصد عن دين الله، وهؤلاء هم أئمة الكفر الذين قال الله فيهم، ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[1].

فهؤلاء قد نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وطعنوا في دين الله، وصدوا عن سبيله، وهم لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، كما جاء في سياق هذه الآية التي تأمر بقتالهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2]، مخدوعون بكلام معسول من أئمتهم وقادهم مضللون من قِبل هؤلاء المعاندين، فهؤلاء هم الذين يجب على الأمة نصحهم وإرشادهم ودعوتهم بالبلاغ المبين، وهم جماهير الشعوب في أقطار الأرض، لا يصح إذن ونحن ندعوهم أن نطلق عليهم ما أطلقه القرآن على عتاة مكة ومشركيها، ولا يصح التيئيس من استجابتهم لدين الله، فكم أسلم منهم من اقتنع بالبحث العلمي المجرد، وبدون جهد يذكر من المسلمين..

إن لهؤلاء في أعناقنا حقاً لا يستوفى إلا بما يلي:

١- **انتقاء دعاة فاقهين متحدي المنهج والأسلوب،** مجيدين للغة كل شعب، ممن لا يطلب مالاً ولا شهرة، بل دعاة مخلصون، وهداة مهديون، تربوا على أن الدعوة رسالة وليست وظيفة، يبتغون أجرهم من الله، يدركون المترلة التي وضعهم فيها نبي الرحمة حين جعلهم خير الأمة، فقال: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم))[4].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، رقم (٤٧٩٣)، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، رقم (٢٧٨٣)، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

٢- **استخدام معطيات الحضارة الحديثة في إطلاق قنوات فضائية**، ومواقع معلوماتية، على أعلى مستوى من التنسيق بين دعاتها، بحيث:

أولاً: لا يتضارب ولا يتناقض عالم مع غيره، ولا يتعصب داع إلى مذهبه، أو ما يسود في بلده، بل يتعاهدون جميعاً على منهج رسول الله، وبأسلوب كتاب الله الذي سبق الحديث عنه.

ثانياً: تجنب الحديث عن المتشابهات، وعن عالم الغيب إلا بما جاء في قواطع الكتاب والسنة، وعن مفاهيم الفرق الضالة، وعن علم الكلام والفلسفة، فليس القياس صحيحاً فيما يستدل به البعض من أنه لم يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية، فمقصود هذه الجملة ما كان سائداً فيما قبل الإسلام ولا فيما بعد ظهوره من مثل عقائد الوثنية والدهرية، والأخلاق الجاهلية في العدوان والمظالم وأوضاعهم الاجتماعية.

ثالثاً: الحرص الشديد على اتحاد الأحكام والفتاوى حتى لا نوقع الناس في بلبلة وحيرة، حتى لو اضطر عالم إلى تفصيل ما ورد في المذاهب الفقهية، فعليه ألا يتبنى دليلاً من الأدلة المعتبرة عند المخالف، فمن الصعب حمل الأمة الآن على مذهب فقهي واحد بعد تعود كل شعب على اتباع مذهب من المذاهب الأربعة المجمع عليها من أهل السنة، فكلهم من رسول الله ملتمس، ولكل رأي مستند من نصوص الوحي.

رابعاً: لابد من التركيز على تقوية أواصر الأخوة الإسلامية، ووحدة الأمة المبنية أساساً على التوحيد وتكامل طاقاتها في مواجهة الحملة الشرسة ضد دينها وثوابته، وضد المسلمين في شتى بقاع الأرض، فهذه الوحدة هي مظهر القوة المانعة من عدوان المعتدين، واستضعاف المسلمين.. في وقت تتحد فيه أوربا مع ما بين دولها من اختلافات جوهرية، وتختلف شعوبنا مع ما بينهم من عوامل الوحدة التي يصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.



منهج الحوار والبيان في سيرة خير الأنام



الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى التأسي بقائدها الأمين، وأسوها الحكيم حتى تستوحي من سيرته العطرة ما يكشف غمتها ويقوى عزيمتها للنهوض بدعوها وتبوُّءِ مكانتها التي رفعها الله إليها حين خاطبها بقوله ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) وقد كثر في هذه الأيام حديث الشرق والغرب عن قضية الحوار بين الحضارات، في مقابل الدعوة الخبيثة التي أطلقها بعض أبالسة الغرب بضرورة القضاء على الإسلام وبعد أن ظهرت الإساءات المتكررة لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وبعد أن أعلن كبيرهم أن تنصير العالم قضية حياة أو موت، وبعد أن أعلنوها حربا صليبية جديدة، وبعد أن نشروا فيلم الفتنة عن القرآن الفاشي وقف الدعاة إلى الله حائرين هل يصلح الحوار مع هؤلاء وهم الأقوياء ونحن الضعفاء؟ وهل نعامل العامة منهم معاملة القيادات التي بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر؟ هل وصل الإسلام واضحا بينا إلى العامة الذين يصدق عليهم وصف القرآن بأنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون؟ وهل قام المسلمون بواجب البيان لهؤلاء وهم جزء من أمة الدعوة العالمية لمحمد عليه الصلاة والسلام؟

إن القرآن الكريم يمنع الأمة إذا كانت ضعيفة أن تطلب من أعدائها السلام حتى لا يفرضوا عليها الاستسلام، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٥) أما إذا كانت قوية واستطاعت أن تكسر جناح العدو وبدأ هو بطلب السلام فإن القرآن يوجب على المسلمين الاستجابة لمطلبهم قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال: ٦١) فهل يعتبر طلبنا لحوارهم طلبا للمسالمة أم هو البيان الذى أمرنا به وأمر به نبينا القدوة؟ لقد ذكرتُ في ملتقى إسلامى بالجزائر أن من واجبنا أن ننطلق من الثوابت التالية :

١. الإسلام دين الفطرة وكل مولود يولد على الفطرة، ولكن البيئة الاجتماعية ممثلة فى الأبوين والأسرة والمدرسة والثقافة السائدة فى المجتمع تضع عليها غواشى وحجبا تحتاج إلى من يزيلها بلطف وحكمة لتلتقى هذه الفطرة بشريعة الفطرة لهذا كانت مهمة سيد الدعاة أن يزيح هذه الغشاوة ولأنها كثيفة تستمد كثافتها من التقاليد والعصبيات والعادات المتحكمة؛ كان لابد لذلك من جهد فريد وصبر شديد وطاقة روحية لا تستسلم ولا تلين، ولأن سيدنا محمدا قد أعد منذ صغره لتلك المهمة؛ فقد حُبِّب إليه التحنث فى غار حراء إلى أن أذن الله للأرض أن تستنير بالوحى الخالد، فأنزل عليه فى هذا الغار أول قبسات هذا النور وتبعه الأمر بالتزود من الطاقة الروحية بقيام الليل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل : ١-٥)

٢. كانت وسيلة المصطفى صلى الله عليه وسلم لجلاء هذه الفطرة وتثبيت عناصر الإيمان التى هى وسيلة التغيير الحقيقى هى البيان، وساعده على ذلك أنه قد أوتى جوامع الكلم وفصاحة اللسان وجرأة الجنان وخشية الرحمن ومن هنا سُمّى فى القرآن بالذكر في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ⑩ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ (الطلاق: ١٠-١١) وفي قوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ (الغاشية: ٢١).

ذلك أن مهمته الرئيسية هى بيان ما أنزله الله لعباده من تشريعات كما قال رب العزة ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤) وبيان ما اختلف فيه أهل الكتاب وذلك قوله سبحانه ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل : ٦٤)

وقد حدد القرآن الكريم فى تكليفه لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون البلاغ مبينا، بكل ما تقتضيه الإبانة من وسائل فقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (المائدة: ٩٢) بل إنه وصف الذين شاقوا رسول الله وصدوا عن سبيله فاستحقوا العقاب الشديد بأنهم فعلوا ذلك بعد ما تبين لهم الهدى على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (محمد: ٣٢)

إنهم أولئك الذين جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقد أكد القرآن هذا في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد : ٢٥) وقد كان هذا البيان مقصودا أساسيا لكل الرسل فقد قال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم : ٤)

٣. كان رسولنا صلى الله عليه وسلم قمة فى التزام الأخلاق والقيم التي يدعو إليها فهو الصادق الأمين الذى لم يجرِّبوا عليه كذبا قط، وهو الذى استنطقهم بذلك حين جمعهم أول مرة ليبلغهم أنه رسول الله إليهم وأنه نذير لهم بين يدى عذاب شديد فلم يستطيعوا أن يأخذوا عليه مطعنا فى أى جانب من جوانب حياته، فكل جوانبه كانت كمالات لم تتح لأحد سواه وبذلك كانت أحواله وأخلاقه بيانا عمليا يعضد ما يقول.

٤. أشعرهم بالمسئولية تجاه هذا الكتاب الذى نزل مباركا وهدى للعالمين بلسان عربى مبين، حتى لا يحتجوا بأن الكتاب الذى نزل على اليهود والنصارى ليس بعربى ولذلك لم يفهموه ولو نزل بلسانهم لكانوا أفضل منهم فقال لهم رب العزة: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٥-١٥٧)

٥. تميز المصطفى صلى الله عليه وسلم بالحرص الشديد على هداية قومه، لدرجة جعلت القرآن كثيرا ما يخاطبه بأن يهوّن على نفسه حتى لا يهلكها فيقول له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦) وبأن الله لم يكلفه بالرسالة ليشقيه فقال: ﴿طه ۝١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ١-٣)

كما تميز بالصبر على الأذى فكم تفننوا فى السخرية منه والاستهزاء به، ومحاصرته ومن معه اقتصاديا، وقذفه بالحجارة فى الطائف، ومحاولة قتله من قريش ليلة الهجرة، ومن اليهود بالسم ورضخ رأسه الشريف بالحجر وهو دائما يقول اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يتحلى مع الصبر بالصمود والتصميم مهما كانت الأخطار والصعاب والتهديدات، ولن ينسى التاريخ موقفه الرائع وهو يقول: "والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه" كما لا ننسى موقفه فى أحد حين ثبت إلى أن سقطت رباعيته ودخلت حلقتا المغفر فى وجنته، وفى (حنين) لما تقهقر جيشه ثبت ونادى: "أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب"

٦. استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة التودد إلى المدعوين؛ فنراه يقول لقريش: "لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم" ؛ "جئتكم بكلمة تدين لكم بها العرب والعجم أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله" .. أما اليهود والنصارى فيناديهم ياأهل الكتاب حثاً لهم على إظهار ما فى كتابهم من البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم وبما فيه من دعوة إلى الصدق مع الله وبما فيه من هدى ونور ويدعوهم إلى أن يقيموا التوراة والإنجيل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا

﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (المائدة : ٦٨) ويذكرهم بأهم لو فعلوا ذلك لسعدوا فى الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ (المائدة : ٦٦)

كما يذكرهم بأهم من أبناء نوح الذى نجاه الله فى السفينة ومن معه وما كان معه إلا المؤمنون الشاكرون وكان هو خير الشاكرين فلماذا لم تسيروا على نهج هذا الرسول الشاكر قال تعالى ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء : ٣)

وتارة أخرى يذكرهم بجدهم إبراهيم وأبيهم إسرائيل يعقوب وهما يوصيان نسلهما بأن يكونوا من المسلمين؛ إذ جمعاهم ونصحاهم كما تحدث القرآن: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة : ١٣٢)

وكما أخبر عن يعقوب حين حضرته الوفاة يوصيهم بالإسلام كما قال سبحانه ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة : ١٣٣)

٧. التزم النبى صلى الله عليه وسلم فى حواره مع المشركين وأهل الكتاب باستخدام الأدلة والبراهين العقلية التى لا خلاف حولها.

فمع عبّاد الأصنام يركز على عجز ما يعبدونه عن النفع والضر وعلى أهم هم الذين صنعوها وسموها بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وأهم أفضل منهم فلديهم عقل وسمع وبصر وأيد وأرجل وهم لا يعقلون ولا يسمعون ولا يبطشون ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الأعراف : ١٩٥)

ومع أهل الكتاب الذين يؤمنون بالتثليث يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢) ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ

أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (النساء : ١٧١ ، ١٧٢) ويقول لمن يؤمن بأنه إله وأن أمه إلاهة ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ (المائدة: ٧٥) ومن يأكل الطعام يكون محتاجا إليه بل ويحتاج إلى إخراج فضلاته، ثم كيف يكون إلها أو ابن إله ويصلب، فمن دبر الكون بعد صلبه؟ وكيف يكون لله ولد وليس له زوجة؟ ويقرب الله لهم قصة خلق عيسى بلا أب بقصة آدم ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ (آل عمران: ٥٩) وهكذا كان جداله إياهم بالتي هي أحسن امتثالا لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت:٤٦).

٨. كان حوار المصطفى صلى الله عليه وسلم مع مخالفيه حين يدعوهم إلى الحق حوارا يطرح القضية مجردة ومعرُضة للأخذ والرد فيقول ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤) على الرغم من أنه واثق من أنه على الحق ولكنه يحثهم على البحث العقلي المتوازن لتستبين الحقيقة التي يوصل إليها الحوار ثم إنه يعترف بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وأن منهم أمة مقتصدة، وأنهم ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١١٣-١١٥)

٩. وحين أصر نصارى نجران على موقفهم بعد الحوار والبيان تحداهم بالمباهلة وهم يعلمون أنه ما وقف أحد أمام نبي يباهله إلا هلك قال لهم ﴿ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ

نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ (آل عمران: ٦١) وكان ذلك بعد الحوار الذى ورد تفصيله فى سورة آل عمران فامتنعوا عن المباهلة وقدموا بهذا دليلا على أنهم يعلمون أنه نبى يخافون من الهلاك لو باهلوه.

١٠. لم يلجأ النبى صلى الله عليه وسلم إلى الحرب إلا دفاعا عن الإسلام وردا للعدوان بل إنه كان يتخذ أسلوب الوقاية من الحرب بعرقلة مسارها؛ كما حدث فى غزوة بدر الكبرى حين علم أن قريشا قد نذرت هذه العير التى كان يقودها أبو سفيان للقضاء على محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، فخرج يطلب هذه العير منعا من تمويل تلك الحرب العدوانية وعوضا عما فاته وأصحابه من أموال فى مكة.

وكذلك حين انتزع الراية من سعد بن عبادة يوم الفتح بعد أن بلغه أنه قال اليوم يوم الملحمة اليوم أذل الله قريشا فرد النبى صلى الله عليه وسلم قائلا: (اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله قريشا)

صلوات الله عليك سيدى رسول الله يا من جعلك الله رحمة للعالمين





"يا علماء الأمة.. حافظوا على دينكم ومهابتكم"



إن العلماء على مدى تاريخ الإسلام هم القادة الحقيقيون للشعوب المسلمة، وهم صمام الأمن، وهم حصن الأمة، وهم الأسوة والقدوة، وهم المرجع الذى نصح به رب العزة حين تختلف الرؤى إذ قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]، وهم أدرى الفئات بأحكام الله والقران ينادى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[2]، والحلال والحرام لا يحدده إلا الله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[3].

وقدوة العلماء والمفتين سيدنا يحيى بن زكريا شهيد الفتوى حين رفض الحكم على الحرام بأنه حلال ..وأسوة المؤمنين جميعا سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم الذى لم يغضب لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله.

من هنا أحس العلماء الربانيون بواجبهم الذى جعله المولى صفة لهم وتاجا فوق رؤوسهم فقال عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[4]، هكذا كفى بالله حسيبا، هو الذى يعلم الدوافع والنيات هو المطلع على الخفايا... هو الذى يعلم السر وأخفى..

إن خشية العالم إذن يجب أن تكون لله وحده فهو الذى يحميه من ضرر العباد وهو الذى سيحاسبه على ما بدر منه إرضاء للمخلوق، وهذا المعنى هو الذى عبر عنه المعصوم صلى الله عليه وسلم بأن ((من أرضى الله فى سخط الناس أرضى الله عنه الناس

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٩.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

ومن أسخط الله فى رضا الناس أسخط الله عليه الناس))[1]. فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والسخط والرضا من أعمال القلوب..

ومن كان مع علام الغيوب لا يملك له أحد ضرا ولا نفعا.. إنه مع مالك القوى والقدر مع من قال: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2].

إنه يباشر مهمته باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم.

*لقد كان إبراهيم الخليل مع الله وتجمعت عليه قوى الكفر ليحرقوه فقال رب النار لها: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾[3].

*ولقد كان موسى مع الله وتجمعت حوله عوامل الهلاك: فرعون وجنوده من خلفه والبحر وأمواجه من أمامه فناداه ربه: ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾[4].

*ولقد كان عيسى ابن مريم مع الله و تجمع اليهود والسلطان على قتله وصلبه فما استطاعوا ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[5].

*ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مع الله وتجمع الكفرة أمام الغار ليغتالوه ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[6].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٦٨/١١، رقم (١١٦٩٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٩ – ٧٠.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٦٣ – ٦٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

*ولقد كان مؤمن آل فرعون مع الله ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾[1].

*ولقد كان وعاظ بنى إسرائيل مع الله، وقاموا بواجبهم فى الإنذار والتحذير ولم يستجيبوا للمخذلين بالرغم من تأكدهم بأن قومهم استحقوا الهلاك بظلمهم فنجاهم الله وقال عنهم: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[2].

ومن كان مع الله آمن بأنه وحده هو الذى يملك أمره: لن يموت أو يقتل إلا بإذنه: ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾[3]، ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾[4].

وإن مات شهيدا كان حيا عند ربه وفاز بإحدى الحسنيين إذ هو يدعو إلى سبيل الله ومن قتل فى سبيل الله فهو شهيد: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[5].

*ثم هو الذى يملك رزقه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾[6]، يعطى ويمنع ويغنى ويفقر ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾[7].

والله خير الرازقين، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.. فعلام الخوف من كلمة الحق خالصة لوجه الحق مهما أغضبت الخلق؟!

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٥.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦٤ - ١٦٥.
(٣) سورة نوح، الآية: ٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٨.
(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ - ١٧٠.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣٠.
(٧) سورة النجم، الآية: ٤٨.

-ثم هو المعز المذل بيده مقاليد السموات والأرض ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وقد أعطى الله المؤمن العزة فقال: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، ونفاها عن المنافقين ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[3]، ماذا ينقص العالم إذن حين يكون مؤمنا برسالته مؤمناً بربه وهو يقول له: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[4].

إن صوت الباطل الآن يدوى فى الآفاق.. وإن الفساد الخلقى قد عم البلاد والعباد، وقديما قيل: لا ينشط أهل الباطل إلا فى غياب أهل الحق، فإذا ظهر أهل الحق وقاموا بواجبهم خفت هذا الصوت المنكر فهكذا أراد الله وهذا ما قاله فى كتابه العزيز: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[5].

*إن خير ما ينطق به إنسان دعوة خالصة لوجه الله بشرط أن تكون صادرة ممن يعمل بها ويعتز بانتسابه إليها ويلتزم بالحكمة والقول اللين والصبر على الأذى والدفع بالتى هى أحسن وليس هذا من استنباط بشر إنما هو كلام رب البشر ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٣٣ - ٣٥.

*وإن شر ما ينطق به إنسان أن يدعو غيره إلى الحق وهو مقيم على الباطل ذلك أن مصيره أن تندلق أقتابه ويدور حولها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع عليه الخلق فيقولون: مالك لقد كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول: قد كنت أمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه وصدق الله العظيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1].

أما فى الدنيا فقد شبهه الله بالحمار حين قال: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾[2]، ثم عقب على هذا التشبيه بأنه لا فرق بين من لا يعمل بما علم والمكذب بآيات الله فقال: ﴿ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

وإن أفضل دعوة تؤتى ثمارها من قام بها ابتغاء وجه الله لا يريد بها جزاء ولا شكورا... ولذا كانت دعوات الرسل جميعا منزهة عن هذا المطمع وكان كل رسول ينادى: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[4]، وكان صوت الرجل المؤمن وهو ينادى قومه أن يتبعوا الرسل: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[5].

*وإن رؤية المنكر وسماع المنكر مع القدرة على تغييره ولو بالكلمة كتمان لما أنزل الله والوعيد على ذلك شديد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[6]، ولا ينجيهم من

---

(١) سورة الصف، الآية: ٢.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٠٩.

(٥) سورة يس، الآية: ٢١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

هذه اللعنات إلا البيان: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

فيا علماء الإسلام هبوا.. أخلصوا النية وداوموا على تجديدها وابذلوا من وقتكم وعلمكم وجهدكم ما تستطيعون، وما تستطيعونه يعلمه الله.. لا تخشوا فى الله لومة لائم فهذه صفة الذين يبلغون رسالات الله، لا تخشوا على حياتكم ولا على أرزاقكم ولا على مناصبكم فالعزيز من أعزه الله، والمحفوظ من حفظه الله، بلغوا دين الله كما أراده الله لا كما أرادته الفرق الضالة ولا ما يطلبه أصحاب المال والسلطان، لا تلتمسوا ما يبرر الباطل وتخضعوا الدين للواقع بل غيروا الواقع بالدين ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2].

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[3]، ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[4].

إن شبابنا أمانة فى أعناقنا وسيمسكون بتلابيبنا يوم نلقى ربنا، وهم يعانون الآن من البلبلة والحيرة أمام الفتاوى المتناقضة، ومنها ما يرضى الخلق، وقليل منها ما يرضى الخالق، منها ما يحل الحرام ومنها ما يحرم الحلال، منها ما ييسر لدرجة التفريط ومنها ما يعسر لدرجة التعنت والتضييق.. والنفس تميل إلى التملص من التكاليف، فتؤثر الكلمة الشائعة "ضعها فى رقبة عالم وأنت بذلك سالم".

فمن منا يتحمل هذه الأوزار والله يقول: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾[5]، وسيقول الأتباع لرهم يوم القيامة: ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٢.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ١٣.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٣٨.

إن الشهرة والزعامة لن تغنى عنا من الله شيئا إذْ قضى الله أنه ﴿ لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾[1]، وإن الميزان الصحيح لأقدار الناس عند الله هو التقوى، وهذه التقوى هى مجلبة الخير والرزق الواسع: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[2].

والداعى إلى الله أحوج ما يكون إلى تنمية هذه التقوى بقيام الليل فهذا هو الزاد الذى طلبه المولى من سيد الدعاة حين قال له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3]، وحين نفذ أمر ربه وشهد له فى قوله: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾[4]، جاء قوله بعدها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[5].

وحين تكلم القرآن عن فضل العلم قدم له بأن صاحبه تعود على القنوت آناء الليل لأن هذا العلم دله على كثرة ثوابه ووقفه على مدى احتياجه لهذا الثواب فقال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[6].

وبعد؛ فإن هذه الكلمات المخلصة نصيحة أقدمها لنفسى أولاً ولإخوانى العلماء كما طلب رسولنا الكريم أن تكون النصيحة للأئمة قبل العامة، والعلماء هم الأئمة، ورحم الله أمير المؤمنين عمر حين قيل له: "اتق الله" فغضب من حول عمر، فقال عمر: "لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نقبلها"..

نماذج لمن يريد خطاب المدعوين المعاصرين.. ومن يرد شبهات المغرضين:

١- أرضنا المباركة مطمع مصاصي الدماء.

٢- الدنيا في القرآن بين المدح والذم.

٣- رد على شبهات كاتب موريتاني.

٤- المواطنة والتعايش السلمي.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ - ٣.

(٣) سورة المزمل، الآيتان: ١ - ٢.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ١ - ٢.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٩.



أرضنا المباركة مطمع مصاصي الدماء



لا يخفى على أحد ما تعانيه أرض العراق وسوريا وفلسطين، وما يراد بالسعودية ومصر.. كما لا يخفى أنه لم يزل شعار إسرائيل مرفوعًا أمام شعبها في الكنيست، يعمق في مشاعرهم أن أرض إسرائيل من الفرات إلى النيل.

وما زال الغرب والشرق متحالفًا مع العدوان على أرض الإسلام، ونقرأ في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ما يؤكد لنا أن الإسلام قد استوطن الأرض المباركة فضلًا من الله علينا ونعمة، وأهاب بنا أن نحافظ وندافع ونعتز ونتنبه ونحذر حتى نكون أهلاً لشكر تلك النعمة. ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1]، فبوركت من أجله بلاد الحرمين.

وأرض الشام: هي التي هاجر إليها شيخ الأنبياء إبراهيم، وابن أخيه لوط، وتحدث عن ذلك رب العزة بأنها الأرض المباركة، فقال: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].. وهي التي سخر الله الريح لسيدنا سليمان تجري بأمره إلى هناك، كما قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾[3].. وهي التي امتن الله على قريش بأن جعل إحدى الرحلتين إليها، وقال عنهم: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ﴾[4]، وهي التي أسري بخاتم الأنبياء إليها ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله.

أما أرض سيناء بمصر، فقد شرفها رب العزة حين خرج سيدنا موسى من مدين، وسار بأهله فوجد نارًا بجانب الطور الأيمن، فانطلق إليه فإذا به ينادى ﴿ فَلَمَّا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨١.

(٤) سورة سبأ، الآية: ١٨.

﴿جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾[1]، ويسمع رب الكون هناك وهو يقول له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾[2].

وهي التي تحدث القرآن عن شجرة الزيتون التي تنبت فيها بأنها: ﴿شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾[3].

وأما أرض مصر والعراق، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى البخاري، عما رآه في الملأ الأعلى ليلة المعراج، يقول: ((رفعت إليّ السدرة -سدرة المنتهى- فإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأما الظاهران النيل والفرات وأما الباطنان فنهران في الجنة))[4].

أفبعد هذا البيان نفرط في أرضنا المباركة، أو فيما نزل فيها من وحي مبارك؟!!



(١) سورة النمل، الآية: ٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، ٥/٢١٢٨، رقم (٥٢٨٧)، كتاب الأشربة، باب شرب اللبن، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.



الدنيا في القرآن بين المدح والذم

كثيرًا ما يتساءل التالي للقرآن الكريم، والمطلع على سنة خاتم النبيين عن الموقف الصحيح لهذا الدين تجاه متع الحياة، وذلك حيث يتلو قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[2]. فيفهم من ذلك أن الله أباح للمؤمن ودعاه إلى التمتع بزينة الدنيا، وأنها ستكون خاصة به يوم القيامة.. ويتأكد له هذا المعنى من حث القرآن والسنة على العمل وإحسانه، والضرب في الأرض لتحصيل الرزق الطيب في مثل قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[3].

ووعد المؤمن العامل الصالح بأن يحيا حياة طيبة ماتعة في مثل قوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[4].

ومع إباحة التمتع بزينة الدنيا والحث على العمل الميسر لذلك نجده أيضًا يحثه على حكمة الإنفاق وعدم الإسراف والتبذير، فيقول: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[5]، كما يشق على الادخار لأولاده الصغار بعد أداء واجباته ويضع أمامه الرجل الذي ترك تحت الجدار كنزًا لأبنائه، استخرجه سيدنا موسى مع العبد

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٣) سورة يس، الآية: ١٥.
(٤) سورة النحل، الآية: ٧٩.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٦ - ٢٧.

الصالح، ووصف هذا الرجل بالصلاح، فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[1].

هذه النصوص القرآنية تدعو إلى التمتع بطيبات الحياة وإلى تحصيل المال الصالح، وعدم التداخل والسعي في الأرض بنشاط وعزيمة، وتحري الحكمة في الإنفاق بحيث يتحقق التوازن بين متطلبات الدنيا والآخرة.

وهناك نصوص أخرى تصف الدنيا وما فيها بالتفاهة واللهو في مثل قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾، ويختم الآية بقوله: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[2].

وقوله في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[3].

وقوله في سورة الكهف: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾[4].

وقوله في سورة الإسراء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾[5].

من أجل ذلك كان لابد من البيان المزيل للبس لدى بعض المسلمين تحصينًا لهم من مداخل المشككين من أعداء هذا الدين...

وبداية نسارع بالتذكير بما قاله إبليس أمام رب العزة حين امتنع عن السجود لآدم وجحد فضله، وتوعده وذريته بإيقاعهم فيما يودي بهم إلى السير معه إلى

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٨.

جهنم، ومن هذا الوعيد قوله: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3].

وكانت وسيلته المفضلة: تلك الإغراءات الواردة في آية آل عمران: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾[4].

وما قاله لآدم في الجنة، وهو يغريه بالمعصية: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ﴾[5].

وحذر القرآن الكريم أبناء آدم أن يقعوا فيما وقع فيه أبوهم تحت خداع إبليس وحيله، فقال: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾[6].

وقال: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[7].

ثم ندلف من تلك المقدمة إلى التنبيه على أن الاستغراق في هذه الزينة لا يشبع منه أحد يتبع هواه، فلو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى أن يكون له واديان... ومن هنا كانت ضرورة الضوابط الشرعية لنزوات الجسد وقسوة القلب المؤدية إلى الفساد في الأرض.. ومن أجل ذلك جاءت الآيات السابقة تذم الدنيا في سياق النصح لمن استهوته المتع ونسى القيم وعاثا في الأرض فسادا.

فآية الحديد الواصفة للدنيا بأنها لهو ولعب، جاءت تعقيبًا عى قسوة أهل الكتاب وانصرافهم عن خشوع القلب لله والعمل لما بعد الحياة، حيث جاء قبلها قوله

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٥) سورة طه، الآية: ١٢٠.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٧) سورة فاطر، الآية: ٦.

تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[1].

الآيةإذا تحث المؤمنين على خشوع القلب والاستجابة لما جاء به الوحي حتى لا يسيطر عليهم الشيطان، كما فعل مع أهل الكتاب الذين كانوا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلا، ويأكلون أموال الناس بالباطل، وقست قلوبهم وأفسدوا في الأرض.

أما آية يونس المهددة بزوال هذه المتع حين ينسى المرء ربه فقد جاءت في سياق الحديث عمن يرفع يديه إلى السماء طلبًا للنجدة وقت الخطر، فإذا نجا منه بغى في الأرض ليحصل على متاع الدنيا، فهذا ما جاء قبلها مباشرة في قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

وكذلك قوله تعالى في سورة الكهف عن ضرب المثل للدنيا، فقد جاء هذا المثل عقب المثل الذي ضربه الله لرجلين: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[3].
وادعى أنها لن تبيد أبدًا وأنكر البعث والحساب، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها.

وكذلك آية الإسراء التي تتوعد من يريد الدنيا فقط بأن مصيره جهنم وبئس المصير، فقد جاءت بعد الحديث عن إفساد المترفين وكثرتهم المؤدية إلى الدمار، وذلك قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[4].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٢ - ٣٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

الآيات التي تذم الدنيا إذن تخاطب أولئك القساة الظلمة المتكبرين الذين يظنون أن عزهم ومكانتهم تتركز فيما يمتلكونه من جاه ومتع لدرجة أنهم رفضوا نبوة الأنبياء، وعلى رأسهم سيد المرسلين؛ لأنه ليس عنده جنة من نخيل وعنب، وليس له بيت من زخرف، ورشحوا للرسالة رجلا من القريتين عظيمًا في نظرهم لغناه، وقبلهم رفض بنو إسرائيل قيادة طالوت؛ لأنه لم يؤت سعة من المال...

وإذن فالإسلام لا يكره المال ولا يمنع المتعة بنعم الله التي سخرها لبني آدم كل ما طلبه أن نشكر المنعم وألا نظن أن كثرة المال أو الجاه هي سبب القربى من الله ما لم تستخدم في طاعة الله، قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[2]. ذلك أن من آمن يمنعه إيمانه من ظلم الناس ومن تحصيل المتع من حرام، ويحثه على التراحم والإنفاق على المحاويج، والسعادة بتفريج الكروب شكرا لمن أعطاه، وفي ذلك تعمير لآخرته بما يرضي الله.

رزقنا الله حسن الخاتمة ووفقنا لخشوع القلب، وشكر الرب، والبعد عن إغراءات المال والمناصب والشهوات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٧.



رد على شبهات كاتب موريتاني



استجابة لما كلفتني به لجنة المتابعة بمجمع البحوث الإسلامية من الرد على الشبهات التي أثارها كاتب موريتاني في مقال مسيء إلى سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبناء على خطاب السيد الأمين العام للمجمع في ١٤/٤/٢٠١٤م.. قمت بقراءة هذا المقال الوارد نصه من وزارة الخارجية فتبين لي أن هذا الكاتب قد رضع من ثدي المستشرقين المتحاملين على الإسلام حتى صار كأنه واحد منهم. عاجز عن تسلق القمم التي تربع عليها المصطفون الأخيار.. إذ لجأ إلى تفسير مواقف الرسل على ما تعود عليه من انغماس في الشهوات وتطلع إلى ملذات الملك والجاه واتخذ من المجاملة للأهل والعشيرة والعداء والانتقام من غيرهم وسيلة لذلك كما يشاهد الآن في دنيا الناس.. ولقد طغى هذا التصور الذهني المريض حتى جعل الأحداث والمواقف التي تعد في عرف المنصفين قمة في الرحمة والخلق العظيم تهماً وشبهات تنال من مكانة رسول الله في مجال العدالة والمشاعر الإنسانية والعلاقات المتوازنة تجاه جميع البشر:

الشبهة الأولى:

وأولى هذه الشبهات في هذا المقال مقارنة هذا الكاتب بين موقف النبي صلى الله عليه وسلم في الحكم على يهود بني قريظة بقتل رجالهم وسبي نسائهم جزاء نقض عهدهم في الدفاع عن المدينة ضد الغزاة فقد اتفقوا مع جموع الأحزاب أن يفتحوا لهم جنوب المدينة ليضربوا المسلمين من الخلف ويستأصلوهم.. وموقفه من قريش الذين نقضوا العهد أيضاً بعدوانهم على حلفاء رسول الله من قبيلة خزاعة حين عفا عنهم في فتح مكة فأطلق سراحهم وقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء. وفي هذه المقارنة يتهم النبي صلى الله عليه وسلم بمجاملة أهله وظلم بني قريظة مع اتفاقهما في الجريمة وهي نقض العهد.

وبقليل من التأمل في طبيعة نقض العهد لدى كل من قريش وبني قريظة يدرك العقل السوي الحقائق الآتية:

١- بنو قريظة شريحة تعيش داخل المدينة وقعوا على صحيفتها بعد هجرة النبي صلّى الله عليه وسلم على المدينة والتزموا فيها بأن يعيشوا مع المسلمين مسالمين وأن يدافعوا مع المسلمين ضد المعتدين عليها.. عكس ما كان من قريش في صلح الحديبية حيث اتفقوا مع المسلمين على أن لكل منهما أن يتحالف مع من شاء على النصرة. فتحالفت خزاعة مع الملمين وتحالفت بكر مع قريش، ثم اعتدى نفر من بكر على خزاعة فاستنصروا برسول الله فالتزم المسلمون بمساعدة خزاعة ضد من يعتدي عليهم، ولم تكن حرب بكر على خزاعة حرب وجود واستئصال إنما كان استعراض قوة، بل كانوا حريصين على ألا يعلم الرسول بذلك حتى لا يفي بوعده، فلما علموا بأن هناك من خزاعة من استغاث بالرسول خاف أهل مكة أن يعاقبهم، فخرج نفر من قادة قريش ليعتذر للرسول قبل دخول مكة، أما بنو قريظة فقد أساءوا الأدب وتحدوا رسول الله لما بعث إليهم ليعلم مدى التزامهم بالعهد.

٢- خيانة بني قريظة يترتب عليها قتل جميع سكان المدينة وتدمير كيان الدولة فهو صراع وجود، أما خيانة قريش لخزاعة فتقتصر على قتل عدد محدود منهم لا يؤثر في وجودها فخيانة اليهود أشنع.

٣- لم يصدر الحكم على بني قريظة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كان من حليفهم سعد بن معاذ [وبنو قريظة هم الذين طلبوا من الرسول أن يحكم فيهم سعد لأنه كان حليفاً لهم في الجاهلية، فكان حكمه] على نفس ما كان مشروعاً في دينهم في أي قتال.. وكلمة النبي صلى الله عليه وسلم لسعد: "لقد حكمت فيهم بحكم الله" يشير إلى ذلك، فهي إذن المعاملة بالمثل [فكذلك كانوا سيفعلون بالمسلمين] إذا انتصروا عليهم [لو كانوا هم المنتصرين].

٤- لو عامل الرسول بني قريظة بما عامل به بني النضير [من طردهم خارج المدينة] لكانوا خطراً دائماً على المسلمين فإن بني النضير من قبلهم- ومن أخطرهم حيي بن أخطب هو الذي أثار قريشاً وغطفان والأحزاب على دولة

الإسلام وهو الذي اتفق مع زعماء بني قريظة على الخيانة.. فلو عفا النبي صلى الله عليه وسلم عن بني قريظة لكونوا مع بني النصير وبني قينقاع وخيبر قوة هدم وتدمير للدولة [واستغلوا عفو النبي عنهم كما فعل بنو النضير].

٥- كان زعماء بني قريظة وأفرادها على رأي واحد في القضاء على محمد ودينه عكس ما كان عليه يهود خيبر، فقد كان منهم من أغلق على نفسه حصنه وآثر السلامة وهؤلاء أبقى عليهم النبي في أرضهم يزرعوها مناصفة وحقن دماءهم.. وبنفس المعاملة عامل النبي أهله وعشيرته في مكة حين أعلن أن من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل البيت الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فلا تفرقة بين الطائفتين.

الشبهة الثانية:

تتمثل في قبول الفداء من أسرى بدر لأنهم من قريش، ورفضه من بني قريظة لأنهم يهود فأين العدالة والمساواة؟

وبالنظرة المنصفة وفهم النصوص القرآنية والوقائع التاريخية يتبين:

١- استمساك رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبدأ الشورى في كل ما يمس الأمة من أخطار بالرغم من أنه الرسول المعصوم المطاع، فقد طرح مسألة الأسرى على أهل الحل والعقد فكان رأي عمر بن الخطاب أن يقتلوا حتى لا يكونوا شوكة في ظهر الأمة اعتماداً على مواقفهم السابقة ورأى أبو بكر أن تؤخذ منهم فدية تساعد في قيام الدولة وقوتها وإذا وصلت الأمة إلى تلك القوة لا يستطيع أعداؤها أن ينالوا منها. وعسى أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ويرفع راية الحق.. واختار الرسول صلى الله عليه وسلم رأي أبي بكر وأدخل في الفدية تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة حتى تبنى الدولة على العلم والمال فتلك بديهة عبر عنها الشاعر:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم ** لم يبن ملك على جهل وإقلال

٢- الآية القرآنية الخاصة بالأسرى لم تبح للحاكم المسلم قتلهم بل اقتصرت على المن بلا فدية أو الفداء بما يختاره الحاكم مما يحقق مصلحة الأمة وذلك قوله

تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ ﴾ [محمد: ٤]. وذلك أن لم ير في بقاء هذا السير خطراً على الأمة.

٣- قسم النبي صلى الله عليه وسلم الأسرى إلى ثلاثة أقسام: فمن كان غنياً افتداه بالمال، ولم تأخذه مشاعر القرابة مع أحد حتى مع عمه العباس [مثلاً] حين رفع قيمة الفداء بالنسبة له لما يعلم من غناه، ومن كان فقيراً يجيد القراءة والكتابة افتداه بتعليم عشرة أطفال مسلمين، ومن كان فقيرا غير متعلم عفا عنه وفك أسره بلا فداء إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

٤- دخل أبو العاص بن الربيع الذي كان زوجاً لابنته زينب في القسم الثالث فقد كان فقيراً أمياً، ومع ذلك أرسلت ابنته زينب قلادة ذهبية كانت أمها خديجة رضي الله عنها قد أهدتها إليها تريد أن تفديه بها لعلمها بفقره وحتى لا تحرج أباها بفك أسر زوجها بلا فداء، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تذكر ما كان من خديجة في خدمة الدعوة حين صدقته وكذبه الناس وواسته حين جفاه الناس وأعانته بمالها ومشاعرها.. وفكر في القضاء على أي شبهة في عفوه عن طهره فقطع كل الظنون وعرض أمره على أصحابه قائلاً: إن أردتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا الذي لها؟ فوافقوا جميعاً برضا نفس كما رواه أبو داود.. فعلى فرض أن يتخيل أحد أنه ممن تجب عليه الفدية فقد تنازل أصحابها عن حقهم فيها وإن كان ممن يستحق المن فقد ضرب الرسول مثلاً رائعاً في القضاء على أسباب الفتن قبل أن تقع [وترك الأمر للصحابة يقررون بشأنه ما كان سائداً لديهم لو ثبت أنه فقير فإنه لا يفتدى الرجل بمال زوجته وإنما بمال عصبته].

٥- لو كانت المجاملة أو المحاباة من أجل الأهل والعشيرة من طبع رسول الله لعفا عن عمه العباس وهو قطعاً أقرب إلى رسول الله من صهره مع أن الواقع التاريخي يقرر- كما سبقت الإشارة إليه أنه طالب بأقصى فدية لعلمه بغناه.

الشبهة الثالثة:

يقول الكاتب أنه من الثبات التاريخي أن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان هي التي حرضت وأغرت عبدها "وحشي" بالذهب والعتق إذا قتل حمزة بن عبد المطلب في "أحد" أخذاً بثأر من قتله حمزة من أهلها في غزوة بدر، ومن المقرر أن

المحرض والفاعل سواء في ارتكاب الجريمة بل قد يكون المحرض أشد جرماً من الأجير.. وقد أسلم كل من هند ووحشي لكن معاملة النبي لهما لم تكن واحدة حيث أمر وحشياً بأن يغرب عن وجهه. وبش في وجه هند لا لشيء إلا انحيازاً للعرب ضد العبيد..!!

والشبهة هنا تمس أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم تلك التي وصفها رب العزة بأنه على خلق عظيم.. وما عرف عنه طول حياته- مهما كانت قسوة المواقف- أنه تجهم في وجه أحد وبخاصة من أسلم استجابة لقوله تعالى: ﴿ **وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾[الحجر:٨٨]، وللرد على هذه الفرية نبين تلك الحقائق:

١- الإسلام يجب ما قبله قال تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال:٣٨]، فالخلاف بين المسلمين وغيرهم متعلق بالعقيدة ومتى صلحت زال الخلاف وصاروا جميعاً إخوة كالجسد الواحد يحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه.

٢- موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من هند ووحشي متحد والسبب فيهما مختلف.. فجريمة وحشي لم تحدث منه دفاعاً عن عقيدة بل كانت طمعاً في مال وعتق فهو إذن مرتزق، ولذلك صرح بأنه لم تكن له حاجة في قتل غير حمزة ومن البديهي أنه إذا شاع هذا السلوك في مجتمع تحول إلى بحر من الدماء من حيث إن مطامع الإنسان لا تنتهي والمستعدون للقتل مقابل الأجر كثير، ثم لا ننسى مكانة سيدنا حمزة وهو عم النبي وأخوه من الرضاعة وهو الذي قاد مع عمر بن الخطاب مسيرة الجهر بالدعوة وهو أسد الله، فإقدام هذا العبد على قتله من أجل الذهب والعتق يستحق من رسول الله أشد أنواع الإنكار والكراهية حتى يقضي على تلك الظاهرة في مجتمع بعث فيه من يتمم مكارم الأخلاق.. ثم إنه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبه بأكثر من إظهار ما في نفسه من مشاعر إنسانية.

وأما هند فعلمها بما ارتكبته في حق الإنسانية حين مثلت بجثة سيدنا حمزة واستغلال ملكيتها لوحشي في حمله على القتل لم تجرؤ على كشف وجهها للنبي صلى الله عليه وسلم بل تنقبت واندست وسط النساء اللاتي جئن لمبايعته وما عرفها النبي إلا من صوتها وأسئلتها عن بخل أبي سفيان وتعجبها من أخذ العهد عليهن بأن

لا يزنين قائلة: أو تزني الحرة يا رسول الله؟ وإذن فموقف الرسول صلى الله عليه وسلم منهما واحد غير أن السبب مختلف. فوحشي مرتزق وهند ابتدعت التمثيل بالجثث واستغلال العبيد، فلم يستقبل هندًا ببشاشة، ولكنها اندست في وسط النسوة منقبة حتى لا يراها النبي، ولا يظهر نحوها مشاعره كما فعل مع وحشي.

الشبهة الرابعة:

يقول الكاتب منح النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد لقب "سيف الله" بعد إسلامه بقليل مع أنه كان السبب في هزيمة المسلمين في "أحد" لا لشيء إلا لأنه قرشي.. ولم يمنح المسلمون وحشياً لقب "حربة الله" حين قتل مسيلمة الكذاب لأنه غير عربي.. وعند هذا الحد لابد من التذكير بما سبق من أن

١- الإسلام يجب ما قبله وأن لا فرق بين مسلم وآخر بسبب اللون أو العرق أو الوطن وأن هذه النظرة الضيقة من خصائص المنافقين الذين اعتبروا المهاجرين ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غرباء عن المدينة وأن أهل المدينة أعز منهم لأن المدينة هي موطنهم وذلك قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون:٨]، ثم:

٢- منح الرسول هذا اللقب لسيدنا خالد لم يكن لأنه قرشي ولكن لأنه أنقذ جيش المسلمين في غزوة مؤتة بعد أن استشهد القادة الثلاثة الذين عينهم رسول الله وهم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب حيث استطاع خالد أن ينجو بالجيش المسلم وهو قليل العدد من بطش جيش الروم الذي كان يفوقه أضعاف المرات بما استحق به خالد هذا اللقب ومما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يصف من كان معه في الجيش بأهم الكرار إن شاء الله بعد أن اهمهم المسلمون بأهم فرار [فوصف النبي لخالد بن الوليد بسيف الله ليس لمجرد براعته في الضرب بالسيف فلقد كان في الصحابة كثيرون ماهرون في المبارزات ولكنه وصف لمهارته وحكمته في قيادة الجيوش مما يوفر كثيراً من القتل ويجلب النصر حين يريد الله بأقل جهد وأبعده عن إراقة الدماء كما فعل خالد في مؤتة]..

٣- حين قتل وحشي مسيلمة قال: لقد قتلت خير الناس وشر الناس مشيراً إلى أنه فعل ذلك تكفيراً عما حدث منه في "أحد"، ولم يعرف عن وحشي من موقف الشهادة الراشدة أو الحنكة الإدارية شيئاً مما كان يتمتع به خالد. مع تساويهما في مغفرة ذنوبهما بمجرد إسلامهما.

والخلاصة أن ما أورده الكاتب يلصق بالإسلام وبرسوله من الافتراءات ما ليس لهما به صلة ومن شأنه السعي إلى إحياء العصبية القبلية والعرقية وبث الكراهية والحقد على المسلمين تنفيذاً لما يريده أعداء هذه الأمة.. وما على المسلمين إلا أن يبينوا الحقيقة وأن يدحضوا الشبهات بالعقل والمنطق والحكمة والجدال التي هي أحسن ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ونسأل الله أن يكون الرد على هذه الشبهات التي أثارها الكاتب فرصة له ليعود إلى ربه ويتوب، والله غالب على أمره وبه العون والتوفيق.





المواطنة والتعايش السلمي

راجت حديثًا تهمة الإرهاب ملصقة بالإسلام بدعوى التعصب الديني والفتنة الطائفية والتشكيك في تبني الإسلام فكرة المواطنة والتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم.

وواجب العلماء أن يبينوا للناس ما شرعه الله، وطبقه رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا المجال، حتى لا يخونوا العهد الذي أخذه الله عليهم ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، ويقتضي ذلك تحرير مفهوم المواطنة كما ورد في اللسان العربي، وكما صرح به كتاب الله وسنة رسوله.

مفهوم المواطنة:

اتفق المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ومختار الصحاح والمصباح المنير والقاموس المحيط، على أن العرب تقول: واطنه على الأمر: وافقه عليه، وجاء في مختار الصحاح[2]: الوطن مكان إقامة الإنسان ومقره، ولد به أم لم يولد، وتوطن بالأرض: أخذها وطنًا. وحكى المعجم الوسيط[3] بأن هذه الكلمة محدثة إذا كانت بمعنى المساكنة، ولكن معنى المساكنة سائد في معظم اشتقاقات هذا الفعل وعلى هذا تكون المواطنة مصدرًا قياسيًا للفعل (واطن) الدال بصيغته على التفاعل والتشارك كالمخاصمة والمخاطبة، ومما تقتضيه هذه الصيغة أن من يسكن بلدا لابد له من التوافق بينه وبين من اختار هذا البلد سكنًا له كما اختاره هو، وبذلك يتبين أن معنى المساكنة والموافقة مترابطان.

احترام الاختلاف والتنوع والتعايش:

الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع أن يعيش بمفرده، فهو يحتاج إلى الزارع ليتولى استخراج طعامه، ويحتاج إلى من يخيط ثيابه، ومن يبني بيته، ومن يصف له

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٢) مختار الصحاح، للرازي، ٣٤١/١.

(٣) المعجم الوسيط، ١٠٤٢/٢.

علاجه، ومن يصنع له الدواء، ومن يغيثه عند الخطر، ومن يحرس له بيته، ومن يدفع عنه عدوه... لذلك كان مضطرا للانضمام والتعاون مع غيره، حتى يُكوّن معه مجتمعا له نظامه، يوزع المسئوليات حسب الكفاءات والملكات، ويحقق الأمن النفسي والاجتماعي، فيحيا سعيدًا متآلفاً مع غيره، مهما تنوعت الأفكار، ومهما اختلفت الأرزاق والمهن، تلك حقيقة نبهنا إليها القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1].

نشأة الحضارة الإنسانية:

ومن هنا بدأت الحضارة الإنسانية والمواطنة السلمية التي يرعى فيها المرء حقوق الآخرين، ويقوم فيها بواجباته نحوهم، بحسب النظام المتفق عليه بينهم، ويتبادل معهم المصالح والمنافع، ويشتركون في صد الخطر وتوفير متطلبات الحياة.

وحين أكرم الله البشر بإرسال الرسل أرسلهم إلى قرى تحكمها المصالح الشخصية المؤدية إلى الصراع ليحصل المرء على ما يريد من نزوات، ولو كان في ذلك أذى للآخرين، فأنزل معهم ما ينظم حياتهم وما يفسر لهم ما لا يستطيع العقل إدراكه من عالم الغيب المؤثر في عالم الشهادة وتحمل الرسل في إقناع سكان هذه القرى من الشدائد والرفض ما زلزلوا مع من آمن معهم زلزالا شديدا.

وجاء خاتم الرسل بدين الفطرة رافعا شعار الإخاء الإنساني معلنا أن إرادة الخالق، من خلق الإنسان أن يعيش مع غيره في ظل التراحم وربط قيمة الإنسان بتقواه بالمعنى العام الشامل لاتقاء غضب الله واتقاء ما يسيء للآخرين حتى يتبادل معهم مشاعر الود والمحبة مجتمعين على طاعة رب العالمين.

كان هذا هو هدف الإسلام الأساسي، وقد حاول الوصول إليه مع اليهود وعباد الأصنام الساكنين بالمدينة بعد الهجرة، فعمد إلى التعايش السلمي معهم عن طريق تنحية الفوارق الدينية والجنسية، فعقد معهم ميثاقًا يشتمل على استقلالهم المادي؛ إذ هو لم يدعهم إلى الإسلام لمكسب مادي، كما يتضمن الدفاع عن

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

الوطن ضد الخطر الخارجي، والخضوع لنظام الدولة الجديدة المتمثلة في شرع الله الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم، باعتباره مصداقاً لما سبقه من شرائع السماء. إذ بذلك يتحقق الأمن الداخلي الذي لابد منه لتكوين الدول، فلا نهضة ولا استقرار ولا قوة ترهب الأعداء بغير الألفة والتعاون ووحدة الهدف بالنفس في سبيل المصلحة العامة.

لهذا تواترت النصوص الإسلامية في الحث على السلام الاجتماعي ومراعاة الاختلاف العقائدي بين البشر بحيث لا تكون مجالا للخلاف والشقاق، فلا إكراه في الدين، ومن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، وما على المسلمين إلا البيان، ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

وقد صرح القرآن الكريم بأن الاختلاف سنة كونية ي قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾[2].

وإذا تأملنا في مبادئ الإسلام وجدنا هذا المبدئ من أهم أهدافه من منطلق أنه دين عالمي تقتضي عالميته أن يخاطب به كل الجنس البشري، مهما كان اختلاف الاتجاهات الفكرية والتقاليد الوطنية، فلا يخص جنسًا أو شعبًا أو وطنًا.

وكانت إرادة الله سبحانه أن تتفق الديانات في الأسس والمبادئ التي تتضمن لهم الحياة الآمنة السعيدة، فلا خلاف بين الرسل في العقائد المتمثلة في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والأخلاق الطيبة، ولا خلاف أيضًا فيما يترتب على هذه العقائد من صلاة وصيام وزكاة وحج، وإن كانت هذه العبادات مختلفة الكيفية، كما قال سبحانه: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾[3]، ومن هنا كانت كل رسالات السماء كما جاءت بها الرسل أمة واحدة، فالقرآن الكريم

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

ينادي الرسل جميعًا بأنهم وأتباعهم أمة واحدة، فيقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[1].

ويتحدث عن الرسل السابقين وأولياء الله الصالحين ويختمهم بالعذراء البتول، ويرتب على ذلك أنهم أمة واحد فيقول: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝٩١ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣ ﴾[2].

هكذا يتحدث القرآن الكريم عن الرسل وأتباعهم أنهم أمة واحدة، وأن من يفرقهم شيطان لعين يستحق العقوبة والتهديد بأشد أنواع العذاب.

معاملة رسول الله لغير المسلمين:

تميز النبي صلى الله عليه وسلم بالخُلق العظيم والحلم النادر فلم يمنعه شرك عبد الله بن أريقط من أن يستعين به ليلة الهجرة ويأتمنه على حياته وحياة الصديق، ولم تمنعه يهودية الغلام الذي كان يخدمه من أن يعوده في حالة الاحتضار، وأن يدعوه إلى الإسلام لينقذه من النار، وهذا ملمح ومعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدعاة أن يكون الحلم والخلق الحسن من أسس هذا الدين، ويستلزم هذا التحلي بالصبر لينال هذه الدرجة العليا التي وضع الله فيها هؤلاء الدعاة والمصلحين حين قال: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[3].

الحوار والجدال بالحسنى:

ومن وسائل الدعوة الراشدة والجدال بالحسنى، وهو من أهم المحاور التي اهتم بها الإسلام للوصول إلى الإقناع واليقين، وركز القرآن الكريم على استخدام الجدال بالحسنى مع أهل الكتاب من حيث أن معهم التوراة والإنجيل، وهما من الوحي المترل على رسولين من أولي العزم، وفيهما هدى ونور ففضلا عن تنبيهه للمسلم في دعوة كل البشر فيقوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥١ - ٥٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩١ - ٩٣.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، نراه يخص أهل الكتاب بنهي المؤمنين عن مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن، ويضع أمامهم نموذجًا من هذا الجدال بأن يستميلهم بأننا نؤمن بكتابهم، ونجلّ أنبياءهم، ونؤمن أن إلهنا وإلههم واحد، فعوامل الاتفاق تفوق مواطن الخلاف، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2].

هكذا يأمر المولى بمخاطبة الناس بمنتهى اللطف واللين ويقول: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[3]. بل إنه تدرج معهم حتى وصل إلى أنه مستعد أن يتقبل نتيجة الحوار، ولو جاءت على لسان من يجادلهم فيقول: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[4].

أفبعد هذا البيان وتلك المواقف الرائعة يمكن لمسلم أن يعامل غيره بالغلظة والإساءة، أو أن يصدق من يتهمه برفض المواطنة، ثم إن القرآن يخاطبه بقوله: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[5]. والبر حسن العطاء، والقسط إزالة الظلم الذي يقع عليهم، ولو كان من مسلم.

إن اسم الإسلام مرتبط بالسلام، وتحية المسلمين هي السلام، والجنة دار السلام، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، فلنردد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[6]. وهيا إلى السلام المجتمعي مع كل من عاش معنا وسالمنا، ولم يحمل علينا السلاح، ولم يعن أعداءنا على حربنا.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٥) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

نموذج تطبيقي

الجهد الدعوي

في سيرة الإمام أبي حنيفة النعمان

مقدمة

كثرت البحوث والكتب التي تناولت سيرة الإمـــام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وأشادت بعبقريته وفقهه، ولم أر من أفرد الجانب الدعوي له ببحث أو مقال مع أهمية الوقوف على جهده الرائع في هذا المجال الخطير إذ مازالت آثاره في ثقافتنا الإسلامية ومازال عطاؤه فيها رافدا رئيساً لكل من كتب عن ثقافة الداعية وعن منهج الدعوة والحكمة واختيار المدعوين الايجابيين.

وقد قسمت البحث إلي **مقدمة** تبين هدف البحث ومجاله يتبعها **تمهيد** موجز عن نشأة الرجل ورحلاته العلمية وأقوال العلماء عنه ثم خصصت **الفصل الأول** منه بالحديث عن صفات الداعية وثقافته من خلال ما اتصف به الإمام وما بدا من تصرفاته ومواقفه وجاء **الفصل الثاني** عن منهجه الدعوي وطبيعة المدعوين وما تتطلبه من وسائل.





النشأة والثقافة وأثرهما في الدعوة



قبل أن نخوض في فكر الرجل وجهده الدعوي ينبغي أن نقدم موجزاً غير مخل عن التعريف به وبنشأته والعوامل التي أثرت في اتجاهه ونبوغه؛ فلذلك أهمية بالغة في استيعاب ما منحه الله من قدرة فائقة في الفهم بعمق والغوص بمهارة في كلا المنبعين الرئيسين: الوحي والعقل، وتوظيف ما آتاه الله من علم بهما في التربية والدعوة والإصلاح.

إن اسمه على أرجح الروايات التّاريخية – وعلى ما ارتضاه فضيلة **الشيخ أبو زهرة** – هو: النعمان بن ثابت وأن جده كان له اسمان هما: النعمان، وزوطي، وقد كان هذا الجد من أهل كابل بأفغانستان، وحين فتحت المدينة أسره بعض رجال (تيم) ثم أُعتق حين عُرف أنه من عظماء المدينة، وبمقتضى هذا العتق صار ولاؤه لتلك القبيلةِ فنسب إليها وصار تيمياً بالولاء، فارسياً بالأصل، أما أبوه ثابت فقد كان من تجار الخز الأثرياء في الكوفة، وقيل إنه التقي بسيدنا **عليّ بن أبي طالب**، ودعا له ولذريته، وأما أبو حنيفة فقد ولد سنة ٨٠هـ بالكوفة في عهد عبد الملك بن مروان، وإمارة الحجاج الثقفي، ونشأ بها فحفظ القرآن الكريم، وتلقاه على يد الإمام **عاصم بن أبي النجود**، وعاش أكثر حياته فيها متعلّماً ومُعلّماً وداعياً، واشتهر بالصدق والأمانة والورع والكرم والعلم.. وقد بدأ حياته مساعداً لأبيه في التجارة، وبدت عليه مخايل الذكاء والنجابة والصدق، حتّى أطلق عليه: الفقيه الخزاز.. وفي أثناء تردده على السوق قابله **الإمام الشعبي** المحدث المعروف فنصحه بالنظر في العلم ومجالسة العلماء؛ إذ رأى فيه يقظة وحركة. فتأثر بالنصيحة وبدأ يدرس علم العقائد والجدل. وظل ينتقل بين البصرة والكوفة طلباً لعلم الكلام، كما قال عن نفسه: "**وكنت أعطيت جدلا في الكلام، وأصحاب الأهواء في البصرة كثير، فدخلتها نيفاً وعشرين مرّة، وربما أقمت بها سنة أو أكثر أو أقل ظناً أن علم الكلام أجلّ العلوم، فلما مضت مدة من عمري تفكرت وقلت: السلف كانوا أعلم بالحقائق، ولم ينتصبوا مجادلين، وخاضوا في علم الشريعة ورغبوا فيه، فتركت الكلام واشتغلت بالفقه**".

ثم اختار أستاذه **حماد بن سليمان** الذي كان يعقد جلساته العلمية في المسجد الجامع بالكوفة، ولازم شيخه **حماد** الذي خلف **إبراهيم النخعي** تلميذ الصحابي الجليل **عبد الله بن مسعود**، وكان يكثر السؤال ويلح في الجدل حتّى ليحمّر وجه حماد لكن شيخه كان يقدره ويقول: "هـــذا على ما ترى منه **يقوم الليل كله ويحييه**". واستمر في ملازمته عشر سنوات متتابعات يحظى من شيخه بقسط كبير من الرعاية، وحين غاب حماد شهرين أناب عنه أبا حنيفة ليجلس مكانه. وفي هذه الفترة عرضت له مسائل لم يسمعها من شيخه فأخذ يجيب عنها ويدون إجاباته ليعرضها على أستاذه عند عودته، فلما راجعها حماد أقر منها أربعين وأنكر عشرين، فأحب أبو حنيفة التدوين منذ ذلك.

وكانت أول فتوى خالف فيها شيخه: إجابة عن سؤال لرجل كان على دابة سيور وغابت الشمس وليس على وضوء ويريد صلاة المغرب، فقال له حماد: تيمّم، فسئل فيها أبو حنيفة فقال: سر وانتظر غيبوبة الشفق فإذا خشيت ذلك فتيمم.

وحين بلغ أبو حنيفة سن الأربعين صعدت روح حماد إلي بارئها سنة ١٢٠هـــ، فوجد الناس عنده ما لم يجدوه عند غيره فلزموه وتركوا سواه حتّى إن إسماعيل بن حماد ابن شيخه وإخوانه جلسوا في مجلس أبي حنيفة حتّى صارت حلقته أعظم حلقة في المسجد وكثر حُسّاده. وكان وفياً لشيخه يدعو له مع والديه، بل سمى ولده بحماد تخليداً وحباً لذكراه، ودامت حلقته ثلاثين عاماً، وذهب إلى الحج خمساً وخمسين مرة يناظر **ابن جريج** في مكة، **والأوزاعي** فقيه الشام، **والليث بن سعد** فقيه مصر، **والإمام مالك** فقيه المدينة، وكان في لقاءات هؤلاء العلماء فائدة كبيرة لأبي حنيفة؛ إذ جمع منها خلاصات التفكير الإسلامي في كل أرجاء العالم الإسلامي، مما جعله قديراً في الحوار بفهم ووعي.

وقد عرض عليه **ابن هبيرة** في عصر الأمويين أن يعمل معه فامتنع فضربه ضرباً شديداً حتّى تورم رأسه ولم يضعف أمام جلاده ولم يتخذ التقية كغيره، بل فرّ من سجنه إلى مكة بعد أن مكنه الجلاد من ذلك، واتخذ مكة مستقراً ومقاماً من سنة ١٣٠هـــ، إلى أن استقام الأمر للعباسيين وعكف فيها على الحديث والفقه – بما ورثت مكة من علم ابن عباس – مدة ست سنوات.

تثقف إذن أبو حنيفة بكل الثقافة الإسلامية في عصره سواء كان ذلك في الحديث والنحو والشعر والأدب والجدل.. ثم تخصص في الفقه بدءاً من تلمذته على يد حماد بن سليمان مدة (١٨) سنة.

أقوال العلماء فيه:

قال عنه **الإمام مالك:** لو حدثك أبو حنيفة عن السارية أنها من ذهب لقام بحجته.

قال عنه **الإمام الشافعي**: من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه فإن الناس كلهم عيال عليه في الفقه.

قال **الإمام الذهبي**: هو فقيه الملة وعالم العراق.

قال عنه **ابن المبارك**: هو مخ العلم.

قال **أبو يوسف**: كان أبو حنيفة **أبصر بالحديث** مني، وكان شديد الذبّ عن المحارم شديد الورع لا ينافس أهل الدنيا فيما بين أيديهم، طويل الصمت دائم الفكر مع علم واسع.

قال الأوزاعي لابن المبارك: غبطت الرجل بكثرة حلمه ووفور عقله.

كتب ابن حجر الهيثمي الشافعي رسالة سماها: **"الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان"**.

كتب السيوطي الشافعي أيضاً رسالة سماها: **"تبيين الصحيفة في مناقب أبي حنيفة"**.



الفصل الأول



صفات الداعية وثقافته



من يتصفح ما كتب عن صفات أبي حنيفة في هيئته وسلوكه وعلمه وذكائه ونشاطه وإخلاصه وورعه وكرمه وعزة نفسه وإبائه الضيم وغير ذلك... ثم يقرأ ما سطره العلماء بعده عن صفات الداعية وثقافته التي تؤهله للقيام بمهمة الرسل وخلفائهم لابد له أن يعترف بأن لهذا الإمام الرّيادة في الاتصاف بكل ما ذكروه وبأكثر مما ذكروه.

فالداعية إلى الإسلام هو العامل الأهم والعصب الحي في منظومة الدعوة بل هو العمود الفقري في مجال التربية، هو الذي ينفخ فيها الروح ويُجري في عروقها الدماء فكيف يقضي على الجهل وهو غير ضليع في العلم؟! وكيف يقاوم الهوى والفساد والضلال وهو لم يتسلح بالإيمان والأخلاق؟!!

إن فاقد الشيء لا يعطيه كما هو مقرر في العقل والفطرة.

ومن هنا كان على الداعية للإسلام أن يفقه الإسلام الذي يدعو إليه، وأن يعرفه معرفة يقينية عميقة من مصادره الأصلية، وينابيعه الصافية حتّى يكون على بينة ممّا يدعو إليه، وعلى بصيرة من منهج رسول الله في الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، ومع هذه المعرفة لابد له من تشرب هذه المعرفة حتّى تختلط بمشاعره وعواطفه بحيث يتبنى الفكرة ويعيش لها وبها، فتصير له هدفا وغاية، يحمل همها ويجهد نفسه في اكتشاف أفضل الوسائل لتبليغها مع ضرورة أن يكون هو صورة عملية لما يدعو إليه، فقد سئلت السيدة عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ

---

(1) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

الْقُرْآنَ"[1]، فمن ينوب عن رسول الله في تبليغ دعوته؟! لابد أن يكون قرآناً يمشي على الأرض، فالقدوة العملية أقوى تأثيراً من كثرة الكلام، كما أن الكلام لابد أن يكون مُحكماً يتسم بالإخلاص والصدق: وعن ذلك يقول الإمام أبو حنيفة: "**إن الكلام كثير ومحكمه يسير، وإن الكلام لا ينتهي حتّى يُنتهى عنه، وإن خير الكلام ما أريد به وجه الله** " وينصح أحد تلاميذه بقوله: " لا تَحدث بفقهك من لا يشتهيه، ومن ناقشك من العامة والسوقة فلا تناقشه فإنه يُذهب ماء وجهك ".

أما عما ينبغي أن يتحلى به الداعية والمعلم من الصفات الظاهرة التي لها تأثير ضخم على المستمعين: فقد أجمعت المصادر على أنه كان طويل الصمت، حسن الإلقاء، سلس اللفظ، متدفق العبارة، جهير الصوت، يصدع برأيه حيث تعترك الآراء، وحينئذ يصير كالسيل إذا اجتاح جنبات الوادي، وكان مفتاح شخصية التيسير والتسامح، حسن الوجه حسن اللحية حسن الهيئة والثياب، حسن النعل، حسن السمت، شديد الكرم، **كثير التعطر، يعرف بريح المسك**...

وأما حلمه وذكاؤه وسرعة بديهته: فحدث عن ذلك ولا حرج، وهذا مثال لضبط النفس عند الاستفزاز وما أكثر ما استفزه الحاقدون!!

جاءه أحد هؤلاء وهو في مجلسه وحلقته فقال له: يا مبتدع يا زنديق!

فقال له: غفر الله لك، الله يعلم مني خلاف ذلك، وإني ما عدلت به أحداً مذ عرفته.

وعرضت له يوماً مسألة، كان للحسن البصري فيها رأي فخطأه، فقال له أحد المتعصبين: أنت تقول: أخطأ الحسن يا ابن الزانية؟

فما تغير وجهه ولا تلوّن، ثم قال: والله أخطأ الحسن وأصاب ابن مسعود.

كان الإمام هيوبا مهابا لا يتكلم إلاّ جوابا، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ولا يهتم بما يقوله عنه المتزمتون، فقد كثرت الألسنة في قدحه ومعظم من ذموه لم تصل مداركهم إلى أُفقه، ولذلك لم يأبه بمناقشتهم أو الرد عليهم، واثقاً أن الحقيقة ستظهر

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٩١/٦، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

يوماً ما، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[1]، وكان ما توقعه فبقيت أصوات الثناء تتجاوب في الأجيال تعطر سيرته.

وكان مع ذلك متواضعاً لا يدعي احتكار الصواب، بل كان يقول كثيراً: **علْمنا هذا رأي، فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه.**

كما كان يقول: "رأينا هذا أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب.

ومن هذا الخلق كان ينطلق بحثا عن الحقيقة، يناقشه أبو يوسف في مسألة واحدة بعد العشاء فمازالا يتحاوران ويتقاربان حتّى طلع الفجر.

يقول عنه تلميذه أبو يوسف: كان إذا سئل عن مسألة كان له علم بها أجاب، وكان لا يذكر الناس إلاّ بخير. ومن تواضعه كان يقول:

خلت الديار فسدت غير مُسَوَّدِ * ومن الشقاء تفَرُّدي بالسودَدِ**

كان دائم النصيحة لتلاميذه الذين يرى فيهم نجابة ليخلفوه، ونصائحه في ذلك درة في جبين الحكمة. نصح مرة قاضي مرو، فقال: "إذا أشكل عليك شيء من ذلك، فارحل إلى الكتاب والسُّنّة والإجماع، فإن وجدت ذلك ظاهرا فاعمل به، فإن لم تجده ظاهرا فرده إلى النظائر، واستشهد عليه بالأصول، ثم اعمل بما كان إلى الأصول أقرب وبها أشبه".

ومن كلماته: "**كل شيء تكلم به ﷺ فعلى الرأس والعين، قد آمنا به، وشهدنا بأنه كذلك، ونشهد بأنه لم يأمر بشيء يخالف أمر الله، ولم يقل غير ما قاله الله، وما كان من المتكلفين، قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾**[2].

وفي هذا ردّ مفحم على كل من اتهمه بأنه يقدم الرأي على النص، وهكذا ينبغي أن يكون سبيل الدعاة.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

وكان رحمه الله سريع البديهة مفحما في حواره، مدافعا عن آرائه: دخل عليه الخوارج بسيوفهم يحتسبون الأجر عند الله بإغمادها في رقبته، فقالوا: جنازتان بالباب إحداهما لرجل شرب الخمر فمات سكران، والأخرى لامرأة حملت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة.. أهما مؤمنان أو كافران فسألهم: من أي فـــرقة كانا؟ أمن اليهود؟ قالوا: لا قال: أمن النصارى؟ قالوا: لا قال: أمن المجوس؟ قالوا: لا قال فممن كانا؟ قالوا من المسلمين. قال: قد أجبتم. قالوا: أهما في الجنة أو في النار؟ قال: أقول فيهما ما قاله الخليل ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1]. وأقول كما قال عيسى: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[2]، فنكسوا الرءوس وانصرفوا.

كان في وجهه أثر السجود، يقوم الليل ويحييه، يتزين للصلاة، ولو كان وحده فالله أحق أن يتزين له. **قيل إنه ختم القرآن سبعة آلاف مرّة**، وكان يتم في رمضان ستين ختمة: ختمة في بياض النهار، وختمة في سواد الليل، وكان يصلي العشاء والفجر بوضوء واحد أربعين عاما.

وهذا مع ما فيه من المبالغة يدل على عبادة الرجل وتنسكه، وكثرة تلاوته للقرآن، وحرصه على قيام الليل، وهذا هو الزاد الضروري لكل الدعاة، فقد كان سيد الدعاة محمد ﷺ يصلي بالليل حتّى تتورم قدماه، وطالبه ربه مراراً بذلك، فقال تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾[3]، وقال له: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا** ﴾[4]، وعلل ذلك بقوله: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾[5]، وبعد أن شهد الله له في قوله: ﴿ **۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ** ﴾[6]،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
(٤) سورة المزمل، الآيات: ١ – ٤.
(٥) سورة المزمل، الآية: ٥.
(٦) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

نزلت عليه سورة المدثر تقول له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[1]، وكأن القرآن يشير بذلك إلى أن الدعوة لابد أن يسبقها تهيئة للداعية بقيام الليل والتهجد بالقرآن.

كان يتكسب من عمله في التجارة ولم يقبل على تدريسه ودعوته أجراً، وهذا هو طبع الأنبياء والرسل، حيث كانوا جميعا يرددون: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾[2]، فقد كان يبيع الحرير الخالص والمخلوط بالصوف، وساعده ذلك على تجنبه السعي إلى الأمراء والأغنياء، بل إنه كان من أكبر تجار الكوفة في دار ابن حريث. وكان يتصدق من ربحه على الفقراء وطلبة العلم..

وهذا ملمح دعوى رائع، فالإنفاق على طلاب العلم يساعدهم على التعمق فيه وتشجيعهم على الاستمرار والصبر على مشقته، وله مع ذلك أجر الصدقة الجارية فهو علم ينتفع به، مع تواصل الأجيال في أداء تلك المهمة لنشر دين الله في الآفاق.

ولم يكن أبو حنيفة في ذلك بدعا، فمعظم الأئمة والعلماء كانوا يحترفون ما يغنيهم عن التكسب بالدعوة، بل نسب كثير منهم إلى حرفته، فهذا الإمام الخصاف كان يعيش على خصف النعال، ويؤلف للمهتدى بالله كتاب الخراج. والقفال كان صانع الأقفال. والجصاص يعمل بالجص. والصفار كان يبيع الأواني النحاسية. والإمام حمزة بن حبيب الزيات كان يحمل الزيت على كتفه من حلوان – مدينة بالعراق – إلى الكوفة.

لم يمنعه ولاؤه لبني تيم من أن يتصدر للفتيا وللتعليم، وأن يتبوأ تلك المكانة العالية في تاريخ الأمة، فما كان للعرب فضل بعروبتهم فقط، ولكن الفضل كل الفضـــل في القيام بخدمة هذا الدين ونشره والإخلاص في ذلك.

ولقد قال عمر: "لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لوليته مكاني". وكان ينادى على أسامة بن زيد كلما لقيه: السلام عليك أيها الأمير، ويقول: إني لا أدعوك إلاّ به؛ لأن النبي ﷺ مات وأنت عليّ أمير، وهذا **عكرمة** مولى عبد الله بن عباس ظل رقيقا إلى أن مات سيده، فأعتقه ابنه عليّ. **والإمام نافع** كان مولى لابن عمر، **وابن سيرين** كان مولى لأنس بن مالك وغيرهم كثير.

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ١ – ٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٠٩.

كان مثلاً رائعا للورع والبعد عن الشبهات، وقد تواترت الأنباء عن ذلك في تجارته. يقول شريكه بعد أن انفضت الشركة بعد ثلاثين عاما: "جالست أنواع الناس من العلماء والفقهاء والزهاد والنساك وأهل الورع منهم، فلم أر أحدا أجمع لهذه الخصال من أبي حنيفة، كان إذا دخلت عليه شبهة من شيء. أخرج من قلبه ذلك ولو بجميع ماله، فالشك عنده يزيل اليقين بخلاف القاعدة!!

كان لا يشترى بما يريد البائع، ولكن بقيمة السلعة في الواقع، وكان يمقت المماكسة؟ فيطبق الفقه على التجارة بالصدق فربطت التجارة عنده بين دنيا الفقه ودنيا الناس.

جاء رجل يشترى ثوبا من خز، فطلب من ابنه حماد أن يخرج له ثوبا، فنشره وهو يقول: صلى الله على مُحمّد. فقال أبوه: مه قد مدحته، ورفض بيعه بالرغم من إصرار المشترى على شرائه.

وبعث بصفقة ثياب إلى شريكه وأعلمه أن في ثوب منها عيباً، وطلب منه أن يبينه للمشترى، فباع شريكه الصفقة ونسى أن يبين عيب الثوب، واستوفى ثمن الجميع مع أن منه ثوبا غير كامل، وكان الثمن ثلاثين ألفا، فأمر شريكه أن يبحث عن المشترى ولكنه لم يهتد إليه، فأبى أبو حنيفة إلاّ فصالا من شريكه وتتاركا وتصدق بثمن الصفقة كلها.

وجاء رجل بثوب يبيعه فقال بكم؟ قال: بكذا. قال إنه يستحق أكثر من ذلك و لم يزل يزيده حتّى اشتراه بثمانية آلاف.

وجاءته امرأة بثوب وطلبت فيه مائة، فقال لها: هو خير من مائة. بكم تقولين فزادت مائة مائة حتّى قالت: أربعمائة قال: هو خير من ذلك. فقالت: أهزأ بي؟ قال هاتى رجلا يشتريه فاشتراه بخمسمائة درهم.

كان عصره يموج بالفتن والفرَق – كما هو الآن – فاتخذ لنفسه موقف الحَكَم الذي لا ينحاز إلاّ إلى الحق وصحيح الدين، وحين يضطر إلى الحوار مع مخالفيه كان يسعفه ذكاؤه وسرعة بديهته، كما حدث منه مع الخوارج القائلين بكفر مرتكب الكبيرة، وقد سبق إيراد الحوار معهم وصرح في الفقه الأكبر بعقيدته

الواضحة في قوله: "ولا نكفر مسلماً بذنب من الذنوب، وإن كان كبيرة إذا لم يستحلها، ولا نزيل عنه اسم الإيمان ونسميه مؤمنا حقيقة، ويجوز أن يكون مؤمنا فاسقاً غير كافر".

ومن أوضح الأمثلة على عبقريته في الجدال مع مخالفيه حتّى يفحمهم: أنه كان على موعد مع الزنادقة الذين ينكرون وجود الله وتدبيره للكون، فتأخر عن موعده عمداً، وحين سئل عن ذلك، قال: لم أجد مركبا يحملني عبر النهر، فوقفت أنتظر، فإذا بلوح من الخشب يظهر فجأة وإذا بلوح آخر ينضم إليه ويلتصق به، وبلوح ثالث.. حتّى صارت هذه الألواح سفينة، وليس فيها أحد فركبتها وأتيت إليكم. فقالوا جميعا: إن هذا ليس من المعقول. فقال: " أتتعجبون من صنع سفينة بلا صانع وتنكرون أن يكون لهذا الكون البديع خالق مدبر. ومثل هذا المنطق هو الذي يفحم العلمانيين والشيوعيين واللادينيين.

أما موقفه من صفات الله تعالى: فقد كان هذا العصر مثل عصرنا الراهن تضطرب فيه الآراء حولها، وقد سبق له أن تردد على علماء الكلام في البصرة، ثم انصرف عن هذا المجال؛ لما رأى فيه من مخالفة نهج السلف، وقرر في الفقه الأكبر: "أن الله لا يشبهه شيء من خلقه ولا يشبه شيئا من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية، أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة. وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك".

وما أحوج الداعية الآن إلى عدم الخوض في أسماء الله وصفاته، وبخاصة أمام العامة، كما قال الإمام الغزالي بضرورة إلجام العوام عن علم الكلام.

وكما قال الفخر الرازي: "لقد تأملت المناهج الفلسفية والطرق الكلامية، فلم أرها تشفى عليلا أو تنقع غليلا، ورأيت خير الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[١]، واقرأ في النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٢]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي".

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

هكذا سار العلماء الأفذاذ مسيرة الإمام الأعظم، وهذا ما ينبغي للدعاة اليوم حتّى تأتلف القلوب، وتتجه الطاقات في اتجاهها الصحيح، تدك أعناق الملحدين وتصد الهجمة الشرسة على هذا الدين.

ونستطيع بعد هذا التطواف في صفات الإمام ومواقفه وتطبيقاته العملية لما علم من شرع الله أن نقدم لدعاة الإسلام في هذا العصر نصيحة تقفهم على طريق الإصلاح المأمول فعوامل النجاح والإخفاق من سنن الله التي لا تتبدل ﴿ **سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا** ﴾[1].

وتتلخص النصيحة في استعراض هذه النقاط التي برزت في منهج الإمام من حيث الأسلوب والمظهر والأخلاق.

- خير الكلام ما أريد به وجه الله.
- الكلام كثير ومحكمه يسير.
- طول الصمت أفضل من الثرثرة.
- سلاسة اللفظ وتدفق العبارة يحتاج إلى معايشة لغة القرآن.
- حسن الهيئة والوجه الصبوح وسرعة البديهة من عوامل القبول لدى المدعوين.
- الحلم والصبر وعدم قابلية الاستفزاز والتواضع وعدم الغرور والعناية بالصف الثاني والثالث من الدعاة رعاية ونصحا.
- قيام الليل وترتيل القرآن وتدبر معانيه.

كل هذه الصفات من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه الدعاة الآن.

- التعفف عن تلقى الأجر أو طلبه من المدعوين ضرورة شرعية، فإذا أمكن للداعية أن يكون له عمل يتكسب منه كان تأثيره أكبر والإقبال عليه أكثر اقتداء بالرسل والعلماء.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٣.

- مكانة الداعي لا تخضع لأصله أو غناه ولكن لعلمه وخلقه وجهده.

- الورع والزهد فيما عند الناس، والحرص على البعد عن الشبهات، دليل الإخلاص والقرب من الله وعلامة على التقوى التي تخرج التقى من المآزق، وتفتح له باب الرزق الواسع، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1].

- عدم الخوض في عالم الغيب وبخاصة ما يتعلق بالذات العلية يجنب الداعية الصدام مع المتزمتين، والجدل مع العوام، ويفسح المجال أمام البيان الواضح لعقيدة الإسلام.



(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ - ٣.

الفصل الثاني



طبيعة الدعاة والمدعوين



يتفرد الإسلام من بين الرسالات السماوية والأنظمة الوضعية بأنه دين عالمي الدعوة ختم الله به رسالاته، ورضيه للناس دينا، يتسق مع الفطرة التي فطرهم عليها، بلا فرق بين جنس ولون وعرق ولسان.. وكلف بتبليغه كل من سمع عنه أو آمن به، وخص العرب بمسئولية خاصة تجاه ذلك من حيث إن الوحي الخاتم نزل بلغتهم، فكان في ذلك شرف لهم يترتب عليه عبء الدعوة إليه، من منطلق فهمهم لمراد الله، ومنهم رسول الله، فقال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [(١)].

وقال النبي ﷺ: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)) [(٢)].

وقال: ((لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)) [(٣)].

وقال: ((تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ)) [(٤)].

لهذا وجب على كل مسلم أن يدعو إلى الله بالمنهج الذي رسمه الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، إمّا على سبيل الوجوب العيني، وذلك

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٤٣ - ٤٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١٢٧٥/٣، رقم (٣٢٧٤)، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٦٢٠/٢، رقم (١٦٥٤)، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو داود في سننه ٣٤٦/٢، رقم (٣٦٥٩)، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

في نطاق ما علم من الدين بالضرورة ،وهو ما يسمى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الذي هو صفة المجتمع الإسلامي، وهو مناط خيريته على الأمم، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[2]. وإمّا على سبيل الوجوب الكفائي لمن يتفقه في الدين ويتعمق في إدراك مراد الله من العلماء الذين يفرض الله على الأمة أن تتبنى تعليمهم، وأن تخرج من كل فرقة طائفة منها تتفقه في دين الله وتحرس الدين، وتحذر من الانحراف، وذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[3].

وقول رسول الله ﷺ: ((مَنْ يُرِدْ اللَّهُ به خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))[4].

وقوله: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))[5].

على أن من يتولى الدعوة لابد أن يكون على بصيرة مما يدعو إليه كما سبق في الفصل الأول وأن يكون على بصيرة أيضاً من أحوال من يدعوهم ومن لغتهم ومن طرق توصيل المعلومة إليهم، لابد من الإلمام بلسان من يدعوهم إلى الله؛ ولذلك كان من مستلزمات القيام بهذا الواجب أن يتعلم الدعاة لغة من يرسلون إليهم، بمعنى أن يخصص لكل دولة مجموعة من الدعاة تتقن وسائل توصيل الدعوة إليهم، وهذه هي الفكرة الأساسية لإنشاء كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٤) رواه البخاري ٢٩/١، رقم (٧١)، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، من حديث معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه ٨١/١، كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وليست اللغة وحدها بكافية لفهم واقع المجتمع الذي يتكلم بها معه. فلابد من دراسة البيئة دراسة عميقة.. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في المنهج الذي وضعه لنبيه محمد ﷺ في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[1].

وفي آية أخرى: ﴿ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[2].

ذلك أنه حين يكون الداعي ممن يقيم مع المدعوين يدرك ما يشغلهم فيقدم الأهم على المهم، ويحدد المداخل إلى قلوبهم وعقولهم، والوسائل التي تصلح معهم، وقد يكون ذلك مما دعا كثيرا من الفقهاء إلى أن يشترطوا في خطيب الجمعة أن يكون مقيماً بالبلد مدة.. ثم على الداعي أيضاً أن ينوع خطابه حسب أوضاع الفئة التي يدعوها، فما يصلح للحضر ربما لا يصلح للبدو، وما يخاطب به المثقفون غير ما يخاطب به العوام، وما يصلح للصغار ربما لا يصلح للكبار، وهكذا.

من هذه الحقائق الدعوية ندلف إلى فكر إمامنا الأعظم لنتعرف على طبيعة من اختارهم لدعوته وكيف تعامل مع كل فئة بما يلائمها.. وبما هو على استعداد للخوض فيه معهم.. فليست الدعوة خاصة بالمنبر يوم الجمعة.. وقد رأينا في سيرته أنه قد اختار مخاطبة العامة بالأسلوب العملي، بمعنى أنه كان حريصاً على أن يقدم الإسلام لهم في صورة عملية.. فحال الداعية أفضل من لسانه وبلاغته، والمدعوون في أشد الحاجة إلى القدوة.. ولولا ما كان يتميز به المصطفى ﷺ من خلق فاضل أثنى به عليه ربه في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[4]، وفي مثل وصف أقرب الناس إليه حين نزول الوحي عليه حيث قالت له السيدة خديجة: "إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"[5].

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ٤/١، رقم (٣)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها.

لولا ذلك لما نجحت دعوته ولما أقبل الناس عليه، أو كما قال الله: ﴿لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾، من هنا وجدنا الإمام أبا حنيفة لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله، إذا سمع اللغو أعرض عنه، يجهر بالحق حين يصمت أولو النهى، يتكسب من عمله ليحافظ على كرامته، تظهر آثار النعمة عليه في ملبسه وعطره وأناقته، يتخذ الوقار رداء له، فلا يتكلم إلاّ جوابا، يقاوم طغيان الأمير في زمن الأمويين، والخليفة في زمن العباسيين، ويصبر على التعذيب من كليهما، يصارع أهل التعصب للتقاليد والمذهبية، يجالس الصالحين أصحاب القلوب الرقيقة، وينفر من المتكلمين أصحاب الأفئدة الغليظة كما عبر عنهم، يلازم القرآن وقيام الليل، يحسن إلى المكروبين، لا يرد سؤال السائلين، يتحاشى الشبهات ويلزم الورع..

يشفع لجار سكير أخذته الشرطة فيتوب الرجل عن شرب الخمر، ويجتهد في طلب العلم حتّى صار من العلماء.. يشترى الخبز يوميا يوزعه على جيرانه، وعلى كل من يختلف إلى بابه، وكان يقول: "ما ملكت أكثر من أربعة آلاف درهم منذ أكثر من أربعين سنة إلاّ أخرجته، ولولا أني أخاف أن ألجأ إلى هؤلاء ما تركت منها درهما واحداً".. رفض مقولة الكذب المباح..

هذه الأخلاق المستقاة من سيرة خير الدعاة جعلت أثره في العامة أفضل من أي خطيب، وقد مرّ في الفصل السابق بيان لما تميز به من صفات كانت من أسباب ثقة الناس فيه وحبهم له.

كيف تكون الدعوة في مجال التدريس؟

أما الجانب الآخر من دعوته: فقد اختار مجال التدريس لطلاب العلم وإكرامهم ورعايتهم فتكونت على يده مدرسة الفقه التي وصفها الإمام الشافعي: "بأن كل الناس عيال على فقه أبي حنيفة".

ذلك أنه كان يترك لتلاميذه الحرية في نقده وتخطئته أحيانا، ويظل يتناقش معهم بالساعات الطوال، ويتدارس معهم مسائل الفقه بالمعقول والمنقول.

ولقد كان في ذلك بعيد النظر مستشرفاً للمستقبل الذي جدت فيه أحداث ووقائع لم يكن ممكنا أن يستوعبها الفكر التقليدي لدى المتزمتين في عصره، والذين

تعجز ملكاهم عن الفهم الواعي للنصوص، والذين اهموه بأنه يقدم الرأي على النص، وكذبوا فقد كان ثقة في الحديث، وعالما بالجــرح والتعديل، ولم يرد إلاّ الحديث الشاذ، بل كان يقدم الحديث الضعيف على رأيه..

ويكفيه أنه كان من التابعين، فقد اتفق المؤرخون على أنه رأى أنس بن مالك بالكوفة، بل ذهب ابن حجر إلى أنه رأى أربعة من الصحابة غير أنس هم: عبد الله بن أبي أوفى، وسهل بن سعد، وعبيد الله بن أنيس، وعمرو بن حريث. كما يكفيه موقفه من علم الكلام وتفضيله لما كان عليه المتقدمون من أصحاب رسول الله ﷺ.

بهذا المنهج.. وبتلك الثقافة.. وبهذه العقلية المتحررة.. ناظر أعلام الفقهاء في عصره وربى تلامذته، على أن العمل المستقيم لابد أن يُبنى على فكر مستقيم، وعلم مقرر ثابت وأن المعلم يجب ألا يكون فيه تردد في مسائل العقيدة والإيمان.

أما ما يتعلق بالعمل فيكتفى في إثباته بالأدلة الظنية، وفي مثل هذا لا يجزم الشخص ببطلان قول مخالفه، بل يرجح قول نفسه، ويقول إنه صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب.

بل كان ينصح تلاميذه بدرر غالية مثل قوله لتلميذه يوسف بن خـــالد البستي: "متى أحسنت عشرة قوم ليسوا لك بأقرباء صاروا لك أمهات وآباء. أنزل كل رجل مترلته، وأَكرم أهل الشرف وعظّم أهل العلم، ووقر الشيوخ ولاطف الأحداث، وتقرب من العامة، واصحب الأخيار ولا تخادن خسيساً، ولا وضيعا، وابذل طعامك، فإنه ما ساد بخيل قط، وأحسن إلى من يحسن إليك ومن يسئ، وتغافل عما لا يعنيك، وأفش السلام ولو على قوم لِئام، وأعط كل من يختلف إليك نوعا من العلم ينظرون فيه.

ولابد أن تستديم مواظبة العلم، وارض لهم ما رضوا لأنفسهم وقدم إليهم حسن النية واطرح الكبر... هكذا كان ينصح تلاميذه بما صار له خلقاً ومنهجاً وكان له معواناً على تبوئه مركز الإمامة.

من كلماته التوجيهية والدعوية لتلاميذه:

١ – من تكلم في شيء من العلم ونقده، وهو يظن أن الله تعالى لا يسأله عنه: كيف أفتيت في ديني، فقد سهلت عليه نفسه ودينه.

٢ – من طلب الرياسة في غير حينه لم يزل في ذل ما بقى.

٣ – أقبل على متفقهيك، كأنك اتخذت كل واحد منهم ولداً لتزيدهم رغبة في العلم.

٤ – اعلم أن العمل تبع للعلم، كما أن الأعضاء تبع للبصر، والعلم مع العمل اليسير أنفع من الجهل مع العمل الكثير، ومثل ذلك الزاد القليل الذي لابد منه في المفازة مع الهداية أنفع من الجهالة مع الزاد الكثير.

٥ – لا يحل لمن يفتي من كتبي أن يفتي حتّى يعلم من أين قلت.

٦ – من يطلب الفقه ولا يتفقه مثل الصيدلاني، يجمع الأدوية ولا يدري لأي داء هي حتّى يجيء الطبيب، كذلك طالب الحديث لا يعرف وجه حديثه حتّى يجيء الفقيه.

٧ – كن من السلطان كما أنت مـــن النار تنتفع منها وتتباعد عنها ولا تدن منها فإنك تحترق.

٨ – أنتم مسار قلبي، وجلاء حزني، قد أسرجت لكم الفقه وألجمته.. فسألتكم بالله بقدر ما وهب لكم من جلالة العلم لما صنتموه عن ذل الاستئمار.

هكذا يحثهم على التحري والدقة عند الكلام في العلم، أو نقد العلماء استحضاراً لمساءلة الله عند لقائه، ويحذرهم من السّعي إلى الرياسة فهي حسرة وندامة، ويناشدهم أن يحرصوا على معرفة الشرع حتّى ينبنى العمل على تلك المعرفة، فمهما كثر العمل مع الجهل لا فائدة منه، وألا يكتفوا برواية النصوص دون التعمق في مدلولها وجمع الأشباه والنظائر والتوفيق بين ما يبدو عليه التناقض..

وألا يعتمدوا على ما يقرءونه في الكتب، حتّى يعرفوا دليل ما في هذه الكتب، وأن يحذروا القرب من السلطان، وطلب الإمارة بالعلم، أو الدنيا بالدين،

وينصحهم حين يتبوأون مقعد التدريس أن يتعاملوا مع الطلاب على أنهم أبناؤهم، فيتعاملون معهم بالحب والود والصبر والمتابعة لأحوالهم، وبهذا يسبق الإمام كل نظريات التربية والتعليم بأكثر من ألف عام.

مواقفه التربوية مع طلابه ومدعويه:

١ – وجه ولده حماد إلى دراسة علم الكلام فترة، ثم أمره بالانصراف عنه، فجادله ولده قائلاً: ألست كنت تأمرني به؟ قال: بلى، وأنا اليوم أنهاك عنه. قال: و لم؟ قال: يا بني، إن هؤلاء المختلفين في أبواب علم الكلام كانوا على قول واحد ودين واحد حتّى نزغ الشيطان بينهم، فألقى بينهم العداوة والاختلاف، وهمة أحدهم أن يظفر من صاحبه بشنعة يشنع بها عليه، فإذا بلغ الكلام هذا الحد فتركه خير.

٢ – أدّب تلاميذه بأربع وسائل: بالعلم، والقدوة، والإقناع، وتقديم العلم في وعاء من الحب.

٣ – رفض أن يتكلم في عرض من تكلم في عرضه، قال له قائل: يتكلمون فيك ولا تتكلم في أحد؟ قال: هو فضل الله يؤتيه من يشاء، عفا الله عمن قال فينا مكروهاً.. تفقهوا في دين الله، وذروا الناس وما اختاروا لأنفسهم.

٤ – من شدة حرصه على التطهر في الجسد والثوب والمكان، خالف سفيان الثوري في جواز الوضوء بماء توضأ به الغير، وطبق أتباعه ذلك عملياً فاتخذوا للوضوء حياضاً ذات صنابير تمنع استعمال الغير لهذا الماء، غير المطهر عند أبي حنيفة، فنسبت إليه هذه الصنابير وسميت بالحنفيات، فالحنفية التي نستعملها الآن صباح مساء تذكرنا بهذه الحلقة المباركة لأبي حنيفة وطلابه.

٥ – كان صبوراً معهم لدرجة إرهاق جسده من السهر: خرج ذات ليلة من المسجد بعد صلاة العشاء فسأله تلميذه (زفر) في مسألة فتجاريا يتقايسان حتّى نودي لصلاة الفجر وهما قائمان أمام المسجد، فرجعا إلى صلاة الفجر، ثم رجعا إلى المسألة حتّى استقرت على قول أبي حنيفة..

٦ – كان حين يشكل عليه مسألة يقول: ما هذا إلاّ لذنب جنيته، فيستغفر الله ويتوضأ ويصلي ركعتين فيمن الله عليه بحل المشكلة.

٧ – اقتحم الخوارج المسجد وأبو حنيفة وأصحابه جلوس، فقال لأصحابه: لا تبرحوا مكانكم، فجاء إليهم الخوارج يريدون الفتك بهم، فقالوا: من أنتم؟ فردّ أبو حنيفة عليهم: نحن مستجيرون. قال أميرهم: دعوهم وأبلغوهم مأمنهم واقرأوا عليهم القرآن، فسلمت المدرسة من الإبادة بسرعة بديهته.

٨ – يدخل عليه غلام فيسأله مسألة فيجيب عنها أبو حنيفة، فيقول الغلام له: أخطأت، ويعرض عليه مسألة أخرى، فيقول له: أخطأت، فيتأذى بعض الحاضرين من جرأة الغلام على أبي حنيفة، فيقول له الشيخ: دعهم فإني قد عودتهم هذا من نفسي.

هكذا.. يتضح من هذه المواقف رفضه للخوض في علم الكلام، والخلاف الذي لا يؤدي إلاّ إلى العداوة وضياع الوقت والجهد فيما لا يفيد، وكأني به ينصحنا الآن بذلك بعد أن فشا في شبابنا هذا الداء الوبيل.. ورفضه للغيبة حتّى فيمن يغتابه، وصبره على طلابه ولو نسبوا إليه الخطأ ولو أسهروه الليل كله، فقد كان يوقن أن كل ذلك جهاد في سبيل الله، كما رأينا سرعة بديهته وإدراكه لمعتقدات الخوارج واستخدام الحيلة في نجاته ومن معه.

إن من يعنى بتربية الدعاة والقضاة وأهل العلم يكون قد ربى بهم أمة، فمهما بلغ الداعية من نبوغ وتوفيق، فإن أثره سيكون في سامعيه فقط. أما من ربى الدعاة، فإن مساحة التأثير ستتسع بانتشار هؤلاء الدعاة يحملون فكر الإمام، وهو في كل نصائحه يتوخى ما كان عليه سلفه الصالح وأولهم صاحب الخلق العظيم ﷺ.

وباختيار الإمام لمدعويه ولطريقة دعوتهم سواء كانوا من العامة، أم من طلاب العلم نراه قد استوفى الجانبين النظري والعملي مع الطلاب، واكتفى بالعملي مع العامة.

وهذا من توفيق الله وعونه جزاء إخلاصه وعبادته وجهاده وأخلاقه.

تلاميذ الإمام:

وكان من تلاميذه من تسنم عرش العلم والفتيا والقضاء، وكان منهم من تنسك وزهد وتورع عن قبول الرياسة.. فمنهم عبد الله بن المبارك، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني – وهما صاحباه وناقلا مذهبه –، ومنهم زفر بن الهذيل الذي

تولى الحلقة بعده، والقاسم بن معن حفيد عبد الله بن مسعود..

وكان من أقرانه الذين تركوا حلقاتهم وأبوا إلاّ أن يحضروا حلقته متلقين: إسماعيل بن شيخه حماد بن سليمان، وأبو بكر النهشلي، وأبو بردة الضبي، ومسعر بن كدام، والحسن بن عمارة، والوليد بن أبان، وأسد بن عمرو البجلي، والفضيل ابن عياض، ووكيع بن الجراح شيخ الشافعي، وحفص بن غياث، ويحيى بن زكريا، والمغيرة بن حمزة..

لقد أربت حلقته على أربعين طالباً صاروا جميعاً أئمة أعلاماً تواصل بهم فقه الشريعة الغراء، ويكفي أن نعلم أن تلميذه محمد بن الحسن الشيباني هو الذي دَوَّن وألّف ورحل إلى المدينة، فروى الموطأ عن الإمام مالك، وتتلمذ عليه الإمام الشافعي، وتتلمذ الإمام أحمد على الشافعي، أما أبو يوسف فتولى القضاء للخلفاء الثلاثة: المهدي، والهادي، والرشيد الذي عينه قاضي القضاة، وألف له كتاب الخراج.

وفاته دروس للدعاة:

سطر الإمام أبو حنيفة في أيامه الأخيرة حروفاً من نور لا يمحوها الزمن، فقد اتفق المؤرخون على أن المنصور طلبه للقضاء فامتنع تطبيقاً لمذهبه في عدم القرب من السلطان، وخشية من الوقوع في الظلم بتأثير المجاملات أو النفاق.. وحلف المنصور ليفعلن فهو الأجدر بهذا المنصب، فحلف أبو حنيفة ألا يفعل فأمر بسجنه وضيق عليه، فلم يهتم، فأمر بضربه كل يوم عشرة أسواط، فلم يؤثر عليه ذلك، وما حزن إلاّ لحزن أمه، واستمر على موقفه إلى أن صعدت روحه الزكية سنة ١٥٠هـ.

وخرجت المدينة عن بكرة أبيها في جنازته حتّى إنهم أعادوا الصلاة عليه مراراً كثيرة، وكان يُسمع ضجيج الناس وبكاؤهم لمسافة أميال، وبكاه العلماء والشعراء، وبقي ذكره في التّاريخ شهيد العلماء وعالم الشهداء. رضي الله عنه، وألحقنا به في الصالحين.



محتويات البحث



